@ketab_n
Follow Me
1.8.2015

السعادة

إعداد وترجمة
محمد الهلالي وعزيز لزرق

دار توبقال للنشر

دفاتر فلسفية ◆ نصوص مختارة

22

دفاتر فلسفية

نصوص مختارة

22

السعادة

إعداد وترجمة

عزيز لزرق ومحمد الهلالي

دار توبقال للنشر

عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار

بلفدير، الدار البيضاء 20300 - المغرب

الهاتف/ الفاكس : 23 23 34 22 5(212)

الموقع : www.toubkal ma البريد الالكتروني : contact@toubkal.ma

Twitter: @ketab_n

صدر
ضمن سلسلة دفاتر فلسفية

1
التفكير الفلسفي
2
الطبيعة والثقافة
3
المعرفة العلمية
4
الحقيقة
5
اللغة
6
الحداثة
7
حقوق الإنسان
8
الإيديولوجيا
9
العقل والعقلانية
10
العقلانية وانتقاداتها
11
الحداثة وانتقاداتها
I
نقد الحداثة من منظور غربي
12
الحداثة وانتقاداتها
II
نقد الحداثة من منظور عربي – إسلامي

13
ما بعد الحداثة
I
تحديدات
14
ما بعد الحداثة
II
فلسفتها
15
ما بعد الحداثة
III
تجلياتها وانتقاداتها
16
الحرية
17
العنف
18
الغير
19
الشخص
20
الواجب
21
الدولة

Twitter: @ketab_n

ثمّ نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة

دفاتر فلسفية

الطبعة الأولى 2013
©جميع الحُقوق محفوظة

دفاتر فلسفية : ردمد 2028-3245

الإيداع القانوني : 2010 MO 498

ردمك : 978-9954-511-48-0

Twitter: @ketab_n

تـمهيد

من الصعب إعطاء تعريف واحد للسعادة، وذلك لاختلاف تمثلات الناس عنها، لكن هل صعوبةُ تعريفِ السعادة، تعني أن لكل سعادته؟ أم تعني استحالة بلوغ السعادة؟

لقد دأب الإنسان على ربط غاية الحياة بالسعادة، باعتبارها ما يضفي معنى على وجوده، فهل قيمة السعادة تكمن في البحث عنها أم في الوصول إليها؟

وسواء اعتبرنا السعادة بحثا مستمرا أم شيئا يمكن تحصيله، فإن هذا لا يلغي إمكانية الشعور بها، لكن يبقى سؤال الواجب بالمعنى الأخلاقي سؤالا مستفزا، فإذا كانت السعادة ممكنة التحقق، فهل تلبية رغباتنا وفعل ما يروقنا دال حقا على سعادتنا؟ وهل تحقيق سعادتنا كأفراد، كاف لتحقيق سعادتنا داخل الجماعة؟ هل يمكن تصور سعادتنا بمعزل عن الواجب الأخلاقي وبمعزل عن سعادة الآخرين؟ هل هناك تطابق بين الشعور بالمتعة والسعادة؟ هل يكفي إشباع رغباتنا لكي نكون سعداء؟

عادة ما يتم الخلط بين السعادة والفرح واللذة، لكن لكي يكونِ هناك تطابق بين السعادة والشعور باللذة أو الفرح، يجب أن تكون هناك

Twitter: @ketab_n

لذّات وأفراح دائمة، لا تتعارض مع السعادة باعتبارها حالة مستقرة ودائمة، لكن ما نستطيع عادة تحقيقه هو تحقيق لذّات ورغبات ما تفتأ تزول، أو تنتهي في الزمن. لكن، ألا يؤدي اعتبار السعادة حالة دائمة إلى جعلها حالة مُستحيلة؟ أم أن كيفية تعاملنا مع رغباتنا ومتعنا هو السبيل لتحقيق السعادة؟

فكل رغبة تولد من نَقْص، من حالة عدم الإرضاء، وبالتالي فهي في الأصل مُعاناة، وكل إرضاء هو انطلاق لرغبة جديدة ولمعاناة أخرى وهكذا دواليك، ذلك أن أي إرضاء تام، يعني نزع الحافز نحو الرغبة، والوقوع في فراغ مرعب : الضّجر.

لعل السعادة مثل الحقيقة، ليس مهما بلوغها بل الأهم هو البحث الدائم عنها، فما يجعلنا سعداء هو البحث عن السعادة. بهذا الصدد عرفت فلسفة أبيقور بإعطائها الأولوية للشعور بالمتعة، أي النزعة المتعيّة، لكن بمعنى دقيق جدا، إذ يرى أن السعادة لا تكمن في تحقيق إرضاء تام لرغباتنا وملذاتنا، ولكن في أن لا يكون المرء في حالة احتياج، وأن لا يتعرض للمعاناة وللاضطراب. بهذا المعنى يتحدث أبيقور عن راحة وطُمأنينة النَّفسْ. ولكي يتحقق ذلك علينا أن نتجنب كل ما من شأنه أن يعرضنا للمعاناة أو للإحساس بالاحتياج أو النقص، حتى لا نشعر بعدم الرضى، وبالتالي بالشقاء..

ومقابل هذه النَّزعة المُتَعية، نجد تصورا آخر، يرى أن السعادة يجب أن تكون هي الغاية الأسمى للإنسان،على اعتبار أن الخير هو الغاية التي يسعى إليها الناس، سواء أدركوها أو لم يدركوها. لكن الخيرات أنواع، هناك خيرات نستعملها فقط كوسيلة للوصول إلى غايات أخرى، إنها غايات غير تامة مادامت تحتاج لغيرها، وهناك خيرات لا تحتاج لغيرها، إنها غايات تامة، لأنها ليست غايات نتوسل بها تحقيق أشياء، بل ما إن نبلغها حتى لا نبحث عن أي شيء آخر. بهذا المعنى نسمي السعادة خيرا

Twitter: @ketab_n

أسمى، وهو ما يعرف فلسفيا بالنزعة المتعية.

هكذا ربط بعض الفلاسفة (أرسطو) بين السعادة والفضيلة، وبالتالي بين السعادة والواجب. تحيل هذه الفكرة على ممكنات التربية، فهل يمكن أن يتعلم الناس كيف يكونوا سعداء؟

إن ربط السعادة بالواجب، يعني في العمق ربط سعادة الفرد بسعادة الجماعة. فإذا كان الكمال الإنساني الفردي، شرطا لازماً للسعادة، فإنه لا يكفي لتحقيق السعادة داخل الجماعة، أي داخل الحياة العامة المُشْتَركة بين الناس.

خلاصة القول إن سعادة الفرد لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن الجماعة، وبمعزل عن الأخلاق العامة. لذا يقول أرسْطو إن الذي لا يستطيع أن ينتمي لجماعة ما، أو ليس في حاجة إلى ذلك لأنه مكتف بذاته، لا يشكل جزءاً من هذه المدينة، لأن الكائن الإنساني كائن اجتماعي بطبعه، فإنه يحتاج للمدينة، ولأنه كائن يسعى باستمرار إلى نَفْي حَيَوَانيَّته، فإنه يحتاج إلى الأخلاق. إننا نعيش مع بعضنا لكي نكون سعداء، والسعادة هي غاية كلّ سياسة و أخلاق، فالسعادة كَخَيْر أسمى لا تختزل في الكمَال الفَردي، بل رهينة بالكمال الجماعي، حيثُ يتطابق الخْيرُ الخاص مع الَخَيْر العام، وهذا هو أفق «المَدينةِ الفَاضِلَة» التي طالما حلم بها الفلاسفة...

وبالفعل فكل علاقة مع السعادة (الفردية أو الجماعية)، هي علاقة مع الحلم، لذا لا يمكن أن نتحدث عن السعادة بدون بلاغة، لعل أساس السعادة يكمن في العيش في كنف الاستعارات، والإقامة داخل المَجَازَات. هكذا يأخذ التفكير الفلسفي في السعادة منحى شَاعِرياً، حين يرسم معالم العالم المنشود، داخل أفق يمكن نعته بشعرية السعادة كمَطْمَحٍ إنساني كوني...

عزيز لزرق و محمد الهلالي

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

I. تحديد المفهوم

1.I. السعادة هي الحظ

بول فولكيي

إن كلمة (bonheur) [الفرنسية التي نترجمها بالسعادة] مُشْتَقّةٌ من كلمتين لاتينيتين هما (bonum وaugurium)، وتعني الفأل الحسن، والحظ.

هناك نوع من السعادة، لا يشكل بالنسبة لنا سوى ما يشكله معطف ما. وهذا هو شأن السعادة التي نتحصلها من الإرث أومن الفوز في اليانصيب؛ نفس الشيء يمكن قوله عن المجد. أما السعادة التي تتعلق بقوانا الخاصة، هي عكس ذلك، سعادة غير مادية؛ فأن نكون مخضبين بلون ما، أفضل من أن نضع علينا قطعة صوف ذات نسيج أرجواني (حسب تعبير آلان).

تسمح لنا اللغة المتداولة بالوقوف على فُروقات عجيبة بصدد هذا المفهوم. فعندما نقول إن هذا الإنسان بلغ السعادة، لا نعني بذلك أنه سعيد لأنه ناجح، بل نعني بالأحرى أنه ناجح لأنه سعيد. وهذا معنى آخر لمفهوم الحظ (حسب تعبير آلان).

هكذا فالمعنى الاشتقاقي، وانطلاقا من وقائع خاصة، يحيل على الحظ المناسب، وعلى الحدث السعيد. لذا فمرادفات كلمة السعادة هي: الحظ، القريحة، البركة، النعمة. وهي ضد : الشقاء، سوء الحظ، المصيبة، العكس، النحس، اللعنة، الحادثة.

ونجد صدى لمرادفات السعادة في الأقوال التالية : «لم أعرف

Twitter: @ketab_n

السعادة طوال هذه الفترة من وجودي، ليس هناك أي شخص سعيد، لقد حصلت على سعادات كثيرة، أعني على أفراح، في الحب الأمومي، في الصداقة، في التأمل، في حلم اليقظة (ج. ساند هيست).

«يا لها من مصادفة! إنها سعادة! إنها لسعادة حقة، تلك التي يعيشها الآن زوجي المسكين!» (م. فان دير ميرش).

«لقد وجدت كلير نفسها متورطة في حوار مع مينيتريي، وكانت مبتهجة لكونها تتحدث بدون بذل أي مجهود، وبنوع من السعادة غير منتظرة، لقد قالت أشياء، لا يمكن أن تقولها لأي أحد آخر غيره» (أ. موروا)

«صحيح لقد دأبت الأصابع على عادة الارتخاء، لكن أصابع الرسام تتميز بفضيلة الإلهام، حقا لليد سعادات، إنها تنجح في القيام باكتشافات نفيسة» (ه. دولاكروا)

«ها هو يعتز بالسعادة الوقحة التي جعلته جميلا، مثلما يرتفع حور وسط مرج قصير» (ش. موريس).

Paul Fouluié : *Dictionnaire de la Langue Philosophique*, puf, 1962, p.74-75

I. 2 .السَّعادةُ هِيَ الإِشْبَاع

بول فولكيي

يُستعمل مفهوم السعادة للتعبير: عن حالة الإشباع التّام لكل الميولات الإنسانية. وهنا تتميز السعادة عن اللذة، والتي هي دائما غير تامة، وليست خاصية تميز الإنسان وحده: فالحيوان يحس باللذة، لكنه لا يبلغ السعادة. لذا نجد أن للسعادة مرادفات هي الغبطة، الهناء، الافتتان، الفرح، الرضا، الإشباع.

السعادة : حالة، وضعية نرغب في دوامها دون حدوث أي تغيير؛

Twitter: @ketab_n

وهنا تختلف السعادة عن اللذة، والتي هي ليست سوى تعبير عن إحساس ممتع، لكنه قصير وعابر، والذي لا يمكن أبدا أن يكون عبارة عن حالة، بينما تمتاز السعادة بكونها تعبيرا عن حالة (الموسوعة).

إن ذاك الذي يبالغ في جعل سعادته رهينة بعقله، فيخضعه لاختبار حقيقي، و يضعه في محكّ مواجهة المتع، بحيث لا يقبل سوى تلك اللذات المحرجة، سينتهي به المطاف إلى عدم تحصيلها. إنه عبارة عن إنسان، أفرط في التشبث بفراشه، إلى درجة أنه انتهى به المطاف إلى النوم على الأرض...«هناك سعادات مثلما هناك ساعات. فالأقل تعقيدا منها، هي التي تتعرض أقل ما يمكن للخراب» (حسب تعبير شامفور).

Paul Fouluié : *Dictionnaire de la Langue Philosophique*, puf, 1962, p.74-75

I. 3 .السَّعادةُ والفَرحُ

أندري لالاند

أولا، تحيل كلمة Bonheur «السعادة» في المعنى الإيتيمولوجي، على الحظ الملائم. وتعني حالة من الإشباع التام الذي تملأ الشعور الإنساني ككل حسب كانط، السعادة هي إشباع لكل ميولاتنا، سواء في امتدادها، يعني في تعدديتها، أو في قوتها أي درجتها.

إن الفكرة الإغريقية عن السعادة القارة، الناجمة عن الحالة التي تكون عليها الروح، هي فكرة مرفوضة، من طرف الأخلاق المسيحية والكانطية. لكنها أخذت مكانة هامة داخل الأخلاق المعاصرة. لذا نقترح إذن استعمال كلمة السعادة دائما، بالمعنى الذي حدده كانط أعلاه، وهو المعنى الذي تتخذه في الفلسفة وفي اللغة المتداولة، حيث نجد تعارضا بين السعادة، و اللذة، والفرح، و كل الإشباعات العابرة

Twitter: @ketab_n

أوالجزئية المتعلقة بالحساسية.

فالفرح Joie هو إحدى الحالات الأساسية للحساسية؛ ولا يمكننا إعطاؤه تعريفا دقيقا. لكن لا يجب أن نخلط بينه وبين اللذة أو الهناء؛ إنه يعبر دائما عن طابع كلي، يمتد ليشمل محتوى الشعور (بل من دون شك، حتى الحالات اللاشعورية). «إن الفرح الداخلي، ليس شيئا آخر سوىذلك الهوى، باعتباره حدثا سيكولوجيا معزولا يحتل مكانا ما في الروح، ثم ينجح بعد ذلك في الامتداد شيئا فشيئا. (...) أما بالنسبة للفرح الخارجي، فإننا نجد أن إدراكاتنا وذكرياتنا، تتخذ خاصية غير محددة، يمكن مقارنتها بحرارة أو ضياء، وتكون جديدة بالنسبة لنا، بحيث أنه في بعض الأحيان، وبالعودة إلى ذواتنا، نشعر بنوع من دهشة الوجود (حسب برغسون).

André Lalande, *Vocabulaire technique et critique de la philosophie*,puf, 1988, p.116-546

I. 4 .الغِبطةُ وَالخَيْرُ الأَسْمَى

أندري لالاند

يُقصد بالغبطة Béatitude، الإشباع الدائم، والتام. إنها حالة مثالية. كما يقصد بها في الطب العقلي المعاصر، النشوة الدائمة، المرفقة باللامبالاة تجاه الظروف والأحداث الخارجية. كما يرتبط هذا المفهوم بتصور ديني. إنه يعني فكرة وجود عالم آخر، وحياة أخرى، غير هذا العالم وهذه الحياة. وقد استعمل على الخصوص في الثيولوجيا المسيحية، لكي يدل على سعادة المصطفين.

ويقصد بالخير الأسمى (Bien souverain)، في الفلسفة الإغريقية، الخير بامتياز، والذي يكون خيرا في ذاته، والذي تكون الخيرات الأخرى بالنسبة له، مجرد وسائل.وهو الذي يعتبره أرسطو غاية كل نشاط داخل

Twitter: @ketab_n

العالم. أما في الفلسفة الحديثة، وعلى الخصوص عند كانط، فإن الخير هو ذاك الذي يشبع الإنسان في كليته، سواء على مستوى العقل، أو على مستوى الحساسية والنشاط الإنساني.

André Lalande, *Vocabulaire technique et critique de la philosophie*, 108-112 puf, 1988, p. 1

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

II. البحث عن السعادة

1.II. الهروب من الخطر

جون ديوي

لما كان الإنسان يعيش في عالم مَحْفوف بالمخاطر فلا جرم أن يَطْلب الأمن الذي سلك إلى تحقيقه طريقين، بدأ أحدهما بمحاولة استرضاء القوى التي تحيط به وتحدد مصيره، وأفصح عن ذلك بالابتهال والتضحية وممارسة الطقوس الدينية والعبادة السحرية. ولم يلبث أن استبدل على مر الزمن هذه الأساليب الفظة، فرأى أن القلب الخاشع أكثر إرضاء من التضحية بالثيران والأبقار، وأن توجيه السريرة الباطنية نحو التوقير والإخلاص أوفق من أداء الشعائر الظاهرة.

وإذا كان لم يَتَيَسَّر للمرء أن يقهر القدر فقد كان في استطاعته بمحض إرادته أن يتحالف وإياه، فوضع يده في يد القوى التي تجلب الحظ الحَسَن ليتسنى له، وإن كان في أشد الآلام أن يتجنب الهزيمة، بل لعله يفوز وهو في قلب المهالك. أما الطريق الآخر فهو اختراع الفنون التي يسخَر بها الإنسان قوى الطبيعة كي تعمل لصالحه. ألا ترى أن الإنسان يشيد حصنا من الظروف والقوى ذاتها التي تهدده، ويبني الملاجئ التي يلوذ بها، وينسج اللباس، ويتخذ من النار صديقا له لا عدوا، وينشئ هذه الفنون المعقدة القائمة على الحياة المترابطة. وهذه هي طريقة تغيير العالم بالأعمال، كما أن الطريقة الأخرى هي تغيير النَّفَسْ بالفكرة والانفعال. ومن الغريب أن سيطرة الإنسان التي سما بها على نفسه عن طريق السيطرة على الطبيعة كانت ضئيلة، على حين أحس بأن طريقة الفعل تتجلى في كبرياء خطير بل إنها تحد للقوى مهما يكن

Twitter: @ketab_n

أمرها. وقد تأرجح الأقدمون بين النظر إلى الفنون أهي هبة من الآلهة أم استغلال لمواهب البشر. ويشهد كلا الرأيين بوجود شيء خارق في الفنون، إما أنه أسمى من الإنسان أو غير طبيعي. مهما يكن من شيء فإن الذين تنبئوا بأن الإنسان يبني بالفنون عن طريق السيطرة على قوى الطبيعة دولة تقوم على النظام والعدل والجمال كانوا قلة قليلة، وقل الإكتراث بها.

لقد كان الناس في غاية السعادة بالاستمتاع بثمار مثل هذه الفنون التي يملكونها، وازداد انقطاعهم في العصور الحديثة إلى الإكثار منها، غير أن هذا المجهود قد ارتبط بشكل عميق في الفنون باعتبار أنها تعالج مخاطر الحياة الخطيرة. وإن كنت في ريب من صدق هذه الحقيقة فانظر إلى فكرة العمل والحظّ من قدرها. كان الفلاسفة يمجدون منهج التغيير في الأفكار الشخصية على حين كان رجال الدين يرفعون من شأن التغيير في عواطف القلب. وهذه التغييرات وتلك كانت تمتدح لذاتها، وقد تمتدح عرضا بسبب ما يترتب عليها من تغيير في الفعل. وكانت هذه التغييرات في الأفعال تعد آية على تغيير في الفكر والعاطفة لا على أنها طريقة لتبديل مسرح الحياة.

جون ديوي، **نصوص مختارة، نوابغ الفكر الغربي** 11، أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف مصر، 1959، ص. 212-213-214.

II . 2 . الحيَاةُ السعيدةُ

أرسطو

إن السعادة، حسب العامة والخاصة، هي التي تفترض أن العيش الهنيء والنجاح مرادفان للحياة السعيدة؛ لكنِ ليس هناك اتفاق قط حول طبيعة هذه السعادة، ذلك أن تفسيرات الحُكَماء والجمهور على طَرَفَيْ نَقِيض. فالبعض يقر بكون السعادة هي خير بديهي ومرئي، مثل اللّذة،

Twitter: @ketab_n

الثّروة، أنواع الشّرف، وبالنسبة للبعض الآخر فالجواب مختلف؛ بل إنه يختلف في الغالب بالنسبة للفرد الواحد: فإذا كان مريضا فإنه يعطي الأفضلية للصحة، وإذا كان فقيرا يعطيها للغنى. كما أن أولئك الذي يشعرون بجهلهم، يسمعون بإعجاب للخطباء الجيدين ولادعاءاتهم؛ وبالمقابل نجد آخرين يعتقدون أنه بالإضافة إلى كل هذه الخَيْرات، هناك خَيْر آخر يوجد من تِلقاء ذَاته، وهو تحديدا الدافع نحو كل أنواع الخير.

يبدو أنه لا جدوى من فحص كل هذه الآراء، إذ يكفي أن ندرس أكثرها ذيُوعا، وتلك التي تبدو ذات أساس معقول. دون أن ننسى الفرق الموجود بين البراهين التي تنطلق من مبادئ، وتلك التي تحاول أن تؤسس هذه المبادئ. لقد كان أفلاطون نفسه مُحتارا، بصدد هذه المسألة، وقد بحث عن تحديد ما إذا كانت الطريقة التي عليه أن يتبعها، يجب أن تقوم على مبادئ، أم عليها أن تعمل على بنائها؛ مثلما يمكن أن نتساءل ما إذا كان على العدائين أن ينطلقوا، في الملعب، من المكان الذي يوجد فيه الحكام، وصولا إلى أقصى نقطة في الملعب، أم عليهم أن يقوموا بعكس ذلك. من الأكيد أنه يتعين الانطلاق مما نعرفه؛ لكن ما نعرفه له وجهان: وجه مطلق، ووجه نسبي متعلق بنا.

Aristote, *Ethique de Nicomaque*,trd par J. voilquin, GF Flammarion,1965, p. 22-23

II .3. قِيمةُ السعادَة

هنري بوانكاري

لا قيمة للحضارات إلا بالعلم والفن. ولقد أثارت عبارة العلم للعلم الدهشة، رغم أنها تعادل عبارة الحياة من أجل الحياة، إذا لم تكن الحياة مجرد بؤس، بل تعادل عبارة السّعادة من أجل السّعادة، إذا كنا نعتقد ان الملذّات ليست جميعها من نفس النوع، وإذا كنا نرفض ان

Twitter: @ketab_n

يكون هدف الحضارة هو مد الذين يحبون السّكر بالخمر.

كل فعل يجب أن يكون له هدف. يجب أن نتألم، أن نعمل أن نؤدي ثمن تذكرة المسرح، وذلك لنرى، أو على الأقل، ليرى آخرون ذات يوم. كل شيء ما عدا الفكرةَ عَدَمٌ، ما دمنا لا نستطيع أن نفكر إلا في الفكر، وما دامت كل الكلمات التي نتوفر عليها لنتكلم عن الأشياء لا يمكن أن تعبر إلا عن أفكار. إذن القول بوجود شيء آخر غير الفكر قول لا يمكن أن يكون له معنى.

و مع ذلك؟ وهذا تناقض غريب بالنسبة للذين يعتقدون في الزمن! فإن التاريخ الجيولوجي يعلمنا أن الحياة ليست سوى حلقة قصيرة في سلسلة من العدم لا بداية لها ولا نهاية، أي بين أبديتين من الموت، وأن الفكر الواعي داخل تلك الحقبة ذاتها لا يدوم ولن يدوم إلا برهة. الفكر ليس سوى بريق وسط ليل طويل. إلا أن هذا البريق هو كل الشيء.

هنري بوانكاري، **قيمة العلم**، ترجمة الميلودي شغموم، دار التنوير، 1982، ص. 165

II .4. الْخَيْر و السَّعَادَةُ

أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه

الخير هو المقصودُ من الكل وهو الغايةُ الخيّرة. وقد يسمى الشيء النافعُ في هذه الغاية خيرا. فأما السعادة فهي الخيرُ بالإضافة إلى صاحبها وهي كمالٌ له. فالسعادة إذا خير ما، وقد تكون سعادةُ الإنسان غير سعادةِ الفرس، وسعادة كل شيء في تمامه وكماله الذي يخصه. فأما الخير الذي يقصده الكل بالشوق فهو طبيعة تقصد ولها ذات، وهو الخير العام للناس من حيث هم ناس، فهم بأجمعهم مشتركون فيها. فأما السعادة فهي خير ما لواحد من الناس، فهي إذا بالإضافة ليست لها ذات معينة، وهي تختلف بالإضافة إلى قاصديها. فلذلك يكون الخير

Twitter: @ketab_n

المطلق غير مختلف فيه. وقد يُظن بالسّعادة أنها تكون لغير الناطقين؛ فإن كان ذلك فإنما هي استعدادات فيها لقبول تماماتها وكمالاتها، من غير قصد و لا رويّة ولا إرادة، وتلك الاستعدادات هي الشوق أو ما يجري مجرى الشوق من الناطقين بالإرادة. فأما ما يتأتى للحيوانات في مآكلها ومشاربها وراحاتها فينبغي أن يسمى بختا واتفاقا ولا يؤهل لاسم السعادة كما يسمى في الإنسان أيضا. وإنما استحسن الحد الذي ذكرنا للخير المطلق لأن العقل لا يطلق السعي والحركة إلا إلى نهاية وهذا أول ما في العقل. ومثال ذلك أن الصناعات والهمم والتدابير الاختيارية كلها يقصد بها خير، وما لم يقصد يه خير ما فهو عبث والعقل يَحْظره ويمنع منه، وبالواجب صار الخير المطلق هو المقصود إليه من كل الناس.

...وأما السعادة فقد قلنا إنها خير ما وهي تمام الخيرات وغاياتها، والتمام هو الذي إذا بلغنا إليه لم نحتج معه إلى شيء آخر، فلذلك نقول: إن السعادة هي أفضل الخيرات ولكنا نحتاج في هذا التمام الذي هو الغاية القصوى إلى سعادات أخرى وهي التي في البدن والتي خارج البدن...

وأما أقسام السعادة على مذهب أرسطو فهي خمسة أقسام: أحدها في صحة البدن ولطف الحواس، ويكون ذلك من اعتدال المزاج أعني أن يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق و اللمس. والثاني في الثروة والأعوان وأشباههما، حتى يتسع لأن يضع المال في موضعه ويعمل به سائر الخيرات ويواسي منه أهل الخيرات خاصة والمستحقين عامة ويعمل به كل ما يزيد في فضائله ويستحق الثناء والمدح عليه. والثالث أن تحس أحدوثته في الناس، وينشر ذكره بين أهل الفضل فيكون مَمْدوحا بينهم ويكثرون الثناء عليه، لما يتصرف فيه من الإحسان والمعروف. والرابع أن يكون منجحا في الأمور وذلك إذا استتم كلما روى فيه وعزم عليه حتى يصير إلى ما يأمله منه. والخامس أن يكون جَيّدَ الرأي صحيحَ الفكر

Twitter: @ketab_n

سليم الاعتقادات في دينه وغير دينه بريئا من الخطأ و الزلل جيد المشورة في الآراء. فمن اجتمعت له هذه الأقسام كلها فهو السعيد الكامل، ومن حصل له بعضها كان حظه من السعادة بحسب ذلك.

مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، دار الكتب العلمية، 1981، ص.63-64-66-67

II .5. تَمَثُّلاَتُ السَّعَادَةِ

أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه

اختلف القدماء في السعادة العُظْمى، فظن قوم أنها لا تحصُل للإنسان إلا بعد مفارقة البدن والطبيعيات كلها، وهؤلاء هم القوم الذين حكينا عنهم أن السعادة العظمى هي في النفس وحدها، وسموا الإنسان ذلك الجوهر وحده دون البدن ولذلك حكموا أنها مادامت في البدن ومتصلة بالطبيعة وكدرها ونجاسات البدن وضروراته وحاجات الإنسان به وافتقاراته إلى الأشياء الكثيرة فليست سعيدة على الإطلاق. ... وحسب رأي هؤلاء فالإنسان لا يسعد السعادة التامة إلا في الآخرة بعد موته. وأما الفرقة الأخرى فإنها قالت إنه من القبيح الشنيع أن يظن الإنسان مادام حيا يعمل الأعمال الصالحة، ويعتقد الآراء الصحيحة، ويسعى في تحصيل الفضائل كلها لنفسه أولا ثم أبناء جنسه ثانيا، ويخلف رب العزة تقدس ذكره في خلقه بهذه الأفعال المرضية، فهو شقي ناقص حتى إذا مات وعدم هذه الأشياء صار سعيدا تام السعادة...

إن الناس مختلفون في السعادة الإنسانية، ولأنها قد أشكلت عليهم إشكالا شديدا احتاجوا أن يتعبوا في الإبانة عنها وإطالة الكلام فيها. وذلك أن الفقيرَ يرى أن السعادة العُظمى في الثروة واليسار. والمريض يرى أنها في الصحة والسلامة. والذليل يرى أنها في الجاه والسُّلطان. والخليع يرى أنها في التمكن من الشّهوات كلها على اختلافها والعاشق يرى أنها في الظفْر بالمعشوق. والفاضل يرى أنها في إفاضة المعروف

Twitter: @ketab_n

على المستحقين. والفيلسوف يرى أن هذه كلها إذا كانت مرتبة بحسب تقسيط العدل أعنى عند الحاجة و في الوقت الذي يجب وكما يجب وعند من يجب. فهي سعادات كلها وما كان منها يراد لشيء آخر فذلك الشيء أحق باسم السعادة.

مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، دار الكتب العلمية، 1981، ص. 68-69

II .6. السَّعَادَةُ وَ أَنْوَاعُ الخَيْرَات

أرسطو

يجب إذن أن نفحص مبدأ السعادة، لا فقط بالاستعانة بالخلاصات والبراهين التي لدينا بهذا الصدد، ولكن بالاعتماد أيضا على الرأي العام. لأن الواقع لا يمكن إلا أن يتوافق مع الحقيقة، بحيث يظهر في الحال التنافر بين الخطأ والصواب. لقد قسمنا الخيرات إلى ثلاث طبقات: الخيرات الخارجية، وخيرات الروح، وخيرات الجسد؛ إننا نعترف بأن خيرات الروح، هي الخيرات الأكثر أهمية والأكثر قيمة. زد على ذلك فإننا ندرج داخل الروح حتى النشاط الخلاّق والأفعال. هكذا فرأينا يتوافق مع الرأي التقليدي الذي برهن عليه الفلاسفة.

إن ما يسمح لنا بمثل ذلك، هو كون بعض أنشطتنا وبعض أفعالنا يُعترف بها كغايات. نفس الشيء يمكن قوله عن الخيرات المتعلقة بالروح، بينما ليس الأمر كذلك بالنسبة للخيرات الخارجية. لأن الفكرة التي ترى أن العيش الهنيء والنجاح، هما اللذان يكوِّنان السعادة، هي فكرة تتوافق مع برهاننا، بل إننا نكاد نجعل الحياة السعيدة والنجاح كلمتين مترادفتين.. بكل بداهة، إن خصائص السعادة تنطبق على تعريفنا لها.

هناك من يرى، أن الحقيقة هي الخير الأَسْمَى؛ وهناك من يرى الفكر الخالص هو الخير الأسمى، وهناك من يرى أن هذا الخير هو نوع من الحكمة؛ بينما يرى آخرون، أن كل هذه الامتيازات، أوجزه فقط

Twitter: @ketab_n

منها، مرفوقة باللذة، أو على الأقل بنوع قليل من مرافقتها بالرغبة، بينما يضيف آخرون على ذلك كثرة الخيرات الخارجية. بعض هذه الآراء كان يدافع عنها العديد من الناس في الماضي؛ والبعض الآخر من الآراء لازال يدافع عنها بعض الناس في الحاضر. إن العقل يمنع علينا التفكير في كون هذا الرأي أو ذاك خاطئ كليا؛ يجب أن نفترض أنهما على صواب، على الأقل في نقطة واحدة، أو في عدة نقط.

إن برهاننا يتوافق مع أولئك الذين يدعون أن السعادة تمتزج مع الفضيلة عموما، أو مع بعض الفضائل الخاصة، لأن السعادة بالنسبة لنا هي النشاط الذي تقوم به الروح تحت إمرة الفضيلة.

Aristote, *Ethique de Nicomaque*,trd par J. voilquin, GF Flammarion,1965, p.30-31

II .7. لاَ سَعَادَةَ بدُون إرَادَةٍ حَسَنَة

إيمانويل كانط

من بين كل الأشياء التي يمكن أن نتصورها داخل العالم، بل حتى خارج العالم عموما، ليس هناك شيء يمكن أن يعتبر حسنا بشكل مطلق، ماعدا الإرادة الحسنة. فالذكاء، وموهبة إدراك التشابهات بين الأشياء، وملكة تَمْييز ما هو خصوصي، من أجل إصدار حكم عليه، وغيرها من مواهب الفكر، مهما أعطيناها من أسماء، أو لنأخذ الشجاعة، القرار، المثابرة على عزمنا، باعتبارها خصائص تميز جبلتنا. من دون شك، كل هذه الأشياء هي بكل تقدير أشياء حسنة ومرغوب فيها؛ لكن هذه المواهب الطبيعية، يمكن أن تصبح سيئة ومشئومة إلى أقصى حد، إذا كانت الإرادة التي تستخدمها، والتي يطلق على استعداداتها الخاصة نعت الطبع، ليست قط إرادة حسنة. نفس الشيء يمكن قوله عن الهبات التي يكون مصدرها الحظ.

Twitter: @ketab_n

فالسلطة، والغنى، والجاه والرضا عن الذات، وهو ما نسميه بالسعادة، كلها تولّد ثقة في الذات، وهي في الغالب تتحول إلى مجرد متمنيات، مادام ليسْ هناك إرادة حسنة تسمح لنا بتصحيح مسار تأثير هذه الامتيازات على الروح، وتسمح لنا بالتوجه قُدُما نحو غايات كونية، إنها المبدأ المتحكم في الفعل؛ ناهيك عن أن أي مشاهد عاقل ونزيه، لن يستطيع أبدا الشعور بالرضا، لكون شخص ما ينجح دائما في كل ما يفعله، رغم أنه لا يتحلى بأية خاصية من خصائص الإرادة الخالصة والحسنة، هكذا فالإرادة الحسنة تكون الشرط اللازم، حتى بالنسبة لما يجعلنا جديرين كي نكون سعداء.

E Kant, *Fondements de la métaphysique des mœurs*, traduction Victor Delbos, céräs edition, 1994, p.61-62

II.8. اللَّذةُ وَالْفَضيلَة

لُوكْيُوسْ أَنَايُوسْ سِينيكَا

أعتقد، أن تعاليم أبيقور صحيحة وقابلة للطعن فيها في الآن نفسه، وإذا ما نظرنا إليها عن قرب، ستبدو لنا ساذجة؛ لأن الشهوة تختزل هنا في مجرد القيام بدور صغير جدا لامعنى له: فما نسميه نحن قانون الفضيلة، يسميه أبيقور قانون الشهوة: إنه قانون يأمره بالخضوع للطبيعة. لكن ما تفرضه الطبيعة، ليس كافيا لتبرير الفجور. ماذا يعني ذلك؟ يعني أن كل أولئك الذين يسمون السعادة ذلك الفراغ الكسول، المقترن باللذات المتناوبة بين شهوتي البطن و الفرج، يبحثون عن سلطة لا يستهان بها، من أجل تبرير دناءتهم، ذلك أنهم عندما يهرعون لتلبية نداء شيء مُغْر، فإنهم يستسلمون للشهوة، ليس كما تم تلقينها لهم، بل كما يحملونهاً معهم؛ فعندما بدأوا بالاعتقاد بأن عيوبهم الخاصة تتطابق مع المبادئ، لذا فهم لم يتعاطون بخجل وبسرية، ولكن بـمجُون وفي

Twitter: @ketab_n

واضحة النهار.

لهذا، وعلى غرار أغلب فلاسفتنا، وبعيدا عن القول إن طائفة أبيقور يتبنون مذهبا مليئا بالدناءات، فإنني أقر ما يلي : لطائفة أبيقور سمعة سيئة، إذ تُتهم بالخسة ، لكنها لا تستحق ذلك. من يستطيع فهمها إذا كان غير متمكن منها؟ إن واجهتها هي التي تسمح بالافتراء عليها، وتشجع على الإقبال على الرغبات الدنيئة. وكأننا أمام إنسان يحمل قلب رجل، ويلبس فستانا : حياؤه غير مخدوش، ورجولته لاغبار عليها، وجسمه لا يعرف الأهواء المُخزية، لكنه يحمل في يده طبلة. فلنختر له صفة مشرفة، تسمية تثير الفكر: لكن أولئك الذين ينعتون فلسفة إبيقور سلبا لا يستحضرون سوى العيوب.

فكل شخص يميل إلى الفضيلة، فهو شخص ذو طبع نبيل؛ ومن يتبع نداء الشهوة يبدو وكأنه بدون طاقة، مثبط الإرادة، نراه قد حط من قدره كإنسان، ينهي حياته في الخزي، إذا لم يبين له أي أحد، ما الذي يميز بين الشهوات، حتى يتأتى له أن يتعرف على تلك التي لا تتجاوز الرغبة الطبيعية من جهة، وتلك التي تقودك إلى الهاوية، علما أنها غير قابلة للإشباع كليا، مهما حاولنا المزيد من إشفاء غليلنا منها.

Sénèque, *La Vie Heureuse*, arléa, 1995, p.43-44-45

II .9. عَلاَقَةُ الحَيَاةِ بِالزَّمَنِ

لوكيوس أنَّايوس سينيكا

ليس الزمن بقصير جدا؛ لكننا نضيع الكثير منه. فالحياة طويلة بما فيه الكفاية، فلدينا متسع من الوقت لكي نحقق أعلى ما نصبو إليه، إذا أحسنا استخدامه بكل دراية. لكن عندما يبدد في البذخ واللامبالاة، وعندما لا نستعمله في أي عمل ذو قيمة، فإننا نحتاج إلى الإكراه

Twitter: @ketab_n

والضرورة الأسمى لكي نشعر أنه أصبح عبارة عن ماضي، دون أن نعرف كيف مر. فنحن لا ننعم بحياة قصيرة، بل نحن الذين نجعلها كذلك؛ فنحن لا نحتاج إلى زمن طويل بل نحن نضيع الكثير منه. فإذا ما منحنا ثروات ضخمة، ملكية، لسيد سيء، فسيتم تبذيرها في لحظة؛ وبالمقابل، حتى وإن كانت هذه الثروات متواضعة، فعندما نمنحها لرجل وديع، فإنها ستتضاعف باستعمالها. هكذا وبالمثل، فالحياة تحتل رقعة شاسعة، بالنسبة للذي يحسن استخدامها.

فلما نشتكي من الطبيعة؟ لقد كانت سخية معنا: إن الحياة طويلة إذا ما أحسنا التعامل معها. لكن هناك من هو أسير أحد الإشباعات الجشعة، وهناك من هو منغمس في عمل شاق لا طائلة من وراءه؛ هناك من يتخمه كده، وهناك من يسكنه التكاسل، هناك من هو مهووس بطموح يبقى دائما رهينا بحكم الغير، وهناك من صقله شغف العمل في البر والبحر، على أمل الاغتناء. هناك من يقض مضاجعهم جنون التحارب، فتجدهم غير قادرين على عدم الخوف من المخاطر التي تهدد الآخرين أو تهددهم هم أنفسهم. وهناك من يزج بهم فكرهم المتملق داخل عبودية طوعية.

كثير أولئك الذين يكونوا أسيري التطلع نحو امتلاك جمال الغير، أوالعناية بجمالهم. فأغلب الناس لا يبحثون عن شيء محدد، إنهم كريشة في مهب الرياح، حيث يرتمون باستمرار داخل مسارات جديدة؛ فلا يعرفون إلى أين يقودون خطواتهم فيفاجئهم القدر وهم متوانيين ومتثائبين. إلى درجة أنني لن أتردد في تبني هذه الجملة التي يرددها الشعراء وكأنها وحي إلاهي: «إن الجزء الذي نعيشه في الحياة، هو جزء قصير» وما تبقى لا يمت للحياة بصلة، بل ينتمي للزمن.

Sénèque, *la Vie Heureuse*, arléa, 1995, p.90-91-92

Twitter: @ketab_n

II .10. الفَرْق بَيْنَ البَحْث عَنْ السعَادَةِ وَبَيْنَ الحُصُولِ عَلَيْهَا

إميل أوكست شارتييه

عادة ما نقول إن كل الناس يجرون وراء السعادَة. سأقول بالأحرى أنهم يرغبون فيها، وهذا فقط على مستوى الكلام ، ومن خلال آراء الغير. لأن السعادة ليست شيئا نجري وراءه، بل شيئا نمتلكه. وخارج هذا الامتلاك، ستكون السعادة مجرد كلمة. لكن عادة ما يعطي الناس قيمة كبيرة للأشياء، مقابل إعطاء قيمة أقل للذات، فهذا يريد الاستمتاع بالثروة، وذاك بالموسيقى، والآخر بالعلوم. لكن التاجر هو الذي يحب الثروة، والموسيقي يحب الموسيقى، والباحث يحب العلوم. بحيث إنه ليس هناك قط أشياء تروقنا إذا لم نحصل عليها، وليس هناك تقريبا قط أشياء تروقنا إذا لم نقم بها، حتى وإن كان الأمر يتعلق بتسديد أو تلقي الضربات. هكذا فكل الآلام يمكن أن تكون جزءاً من السعادة، إذا كنا نبحث عنها في أفق تحقيق فعل مضبوط وصعب، مثل ترويض حصان. إن حديقة ما لن تروقنا، إذا لم نِصنعها بأنفسنا. ولن تروقنا امرأة ما لم نغزوها. بل حتى السلطة يَملُها ذاك الذي يحصل عليها دون بذل مجهود. فالجمنازي يجد متعة في القفز، كما يجد العداء متعة في العدو؛ أما المتفرج فليس له سوى متعة الفرجة. هكذا فالأطفال لا ينقصهم الطريق الأصوب، عندما يقولون إنهم يريدون أن يكونوا عدائين أو جمنازيين؛ لذا يسرعون لتحقيق ذلك، لكنهم ما يلبثوا أن يخطئوا، يتجاوزون الآلام ويعتقدون إنهم وصلوا إلى مبتغاهم. أما الآباء والأبناء فيستشيطون غضبا للحظة قصيرة، ثم يخرون ساقطين. و مع ذلك فالجمنازي سعيد بما فعله وبما سيفعله؛ بواسطة يديه ورجليه، ومن خلال ما يشعر به. ونفس الشيء يمكن قوله عن الغازي، والمحب، فكل واحد يصنع سعادته.

Twitter: @ketab_n

غالبا ما نقول إن السعادة تروقنا عن بعد وفي الخيال، وأنها تتلاشى عندما نريد الإمساك بها. هذا شيء غامض، لأن العداء الجيد سعيد في خياله، إذا جاز القول، في اللحظة التي يستريح فيها؛ لكن الخيال يشتغل داخل الجسم الذي يعد مجاله الخاص؛ فالعداء يعرف جيدا ما معنى الإكليل، و أنه لشيء جميل وجيد أن يفوز به، وليس فقط الحصول عليه. إن أحد نتائج فعلنا تكمن في إحلال النظام داخل كل شيء. يمكننا كذلك أن نأمل في السعادة، فقط عن طريق هذا الخيال والذي هو في متناول كل واحد منا. والخيال الآخر يتم إجهاده في الانتظار والقلق؛ علما أن التجربة الأولى لا تعطينا شيئا آخر سوى الألم.

هكذا فإن الذي لا يعرف لعب الورق، يتساءل عن ما هي اللذة التي يشبعها من يلعب الورق. يجب أن نعطي قبل أن نستقبل، وأن نعقد الأمل على ذواتنا، لا على الأشياء؛ إن السعادة هي الجزاء الحقيقي. هكذا، فالإرادة هي التي تمنحنا أفراحنا، وليست إرادة أفراحنا هي التي تمنحنا إياها.

Alain, *Eléments de philosophie* inprimé en france 1953 p. 255-256

II .11. السَّعَادَةُ لَيْسَتْ دَاخِلَنَا ولاَ خَارِجَنا

بْليز باسكال

يعتقد بعض الفلاسفة أن الله وحده جدير بأن ينال محبتنا وإعجابنا، بينما كانوا هم يرغبون في أن يحظوا بمحبة وإعجاب الناس؛ ولم يعرفوا أنهم بذلك يعبرون عن فسادهم. فإذا كانوا يشعرون بأحاسيس كثيرة تدفعهم لمحبة الله وللإعجاب به، وكانوا يجدون في ذلك فرحتهم الرئيسية، فإنهم سيشعرون في نهاية المطاف بأنهم جيدون! ولكن إذا كانوا مرغمين على ذلك، بحيث إنهم لا يجدون أي ميل يدفعهم نحو ذلك سوى أن يحظوا بتقدير الناس، ذلك أنهم ومن أجل كل

Twitter: @ketab_n

كمال مرتقب، يعملون فقط على جعل الناس، دون إرغامهم، يجدون السعادة في محبتهم، إنني أرى أن هذا كمال رهيب. ماذا! عرفوا الله، ولم يرغبوا فقط في أن يحبهم الناس، ولكن الناس يكتفون بذواتهم! لقد أراد الناس أن يكونوا موضوع سعادة إرادية بالنسبة للآخرين.

لعلنا مثخنون بأشياء ترمي بنا إلى الخارج. فغريزتنا تجعلنا نحس بأنه يتعين علينا البحث عن سعادتنا خارجنا. وأهواؤنا تدفعنا نحو الخارج، وعلى أي فالأشياء لا تعرض نفسها لكي نعمل نحن على تهييجها؛ بل إن أشياء العالم الخارجي تغرينا من تلقاء ذاتها، وتستدعينا، دون أن نفكر في ذلك. هكذا فقد أحسن الفلاسفة عندما قالوا: «اهتموا بذواتكم فقط، وستجدون ما هو خير لكم»؛ إننا لا نصدقهم، وأولئك الذين يصدقونهم هم أكثر الناس خواء وغباء.

يقول الرواقيون: «غوصوا في أعماقكم؛ وهناك ستجدون راحتكم». وهذا غير صحيح. ويقول آخرون: «عليكم بالعالم الخارجي: ابحثوا عن السعادة عبر تسلية أنفسكم»، وهذا غير صحيح، فالأمراض بالمرصاد. فالسعادة ليست لا خارجنا، ولا داخلنا إنها تكمن في الله.

Blaise Pascal, *Pensées*, editions lattès, 1988, p. 176

II .12. مَبْدَأُ السعَادة الكُبْرى

ستيوارت ميل

إن المذهب الذي يجعل أساس الأخلاق هو المنفعة، أي المبدأ المتحكم في أكبر قدر ممكن من السعادة، يؤكد على أن الأفعال تكون حسنة أو سيئة، قياسا لمدى مضاعفتها للسعادة، أو عكس ذلك لمدى تسببها في الشقاء. وأقصد «بالسعادة» تحقيق اللذة وغياب الألم، وأقصد «بالشقاء» الألم والحرمان من اللذة. ولكي أقدم صورة واضحة عن القاعدة الأخلاقية التي يتبناها هذا المذهب، لابد من اللجوء إلى

Twitter: @ketab_n

التعمق مليا في ما نقوله والعمل على تطويره؛ يتعلق الأمر بمعرفة، على الخصوص بالنسبة لتيار النفعية، ما هو محتوى الأفكار المتعلقة بالألم واللذة، وإلى أي حد يبقى النقاش في هذا الموضوع مفتوحا. لكن هذه الشروح الإضافية لا تؤثر بأي حال من الأحوال، على تصور الحياة الذي تتأسس عليه هذه النظرية الأخلاقية، علما أن اللذة وغياب الألم وحدهما الشيئين المرغوب فيهما كغايات، بينما كل الأشياء الأخرى المرغوب فيها (وهي كثيرة داخل النسق النفعي أكثر من غيره)، هي مرغوب فيها إما بحكم اللذة التي تحصل عليها من ورائها، أو باعتبارها وسائل لتحقيق اللذة وتجنب الألم.

Stuart Mill, l'Utilitarisme, trad G.Tanesse, collection champs, flammarion, 1861, p. 48-49

II .13. التَّشَوُّقُ إِلَى السَّعَادَةِ

فريدريك نيتشه

ومرت الأشهر وتوالت السنون على زارا وهو لا يشعر بها، مع أنها جلَّلَتْ بالبياض ناصيته وفوديه. وجلس زارا يوما على حجر أمام غاره وأرسل نظراته إلى بعيد ترود تعاريج الأودية وقد ظهر شيء من أفق البحر عند منتهاها السحيق. وبينما هو مستغرق في تفكيره دار حوله نسره وأفعوانه ثم مَثَلاً أمامه قائلين:

– علام ترسل نظراتك، يا زارا، أَتُراك تفتش عن سعادتك؟

– (فأجاب) ما لي وللسعادة، لقد انقضى الزمان الذي كنت أتوقع السعادة فيه فما أتشوق الآن إلا إلى أعمالي.

– (قال الحيوانان) إنك كمن تَغْلغَلَ الخيرُ فيه، أفما أنت عائم على بحيرة من السعادة ينعكس على صفحتها أديم السماء؟

– (فاجاب زارا وهو يبتسم) لقد أجدتما التشبيه ولكنكما تعلمان أيضا أن سعادتي ثقيلة ولا شبه بينها وبين الأمواج هجوما وتراجعا،

Twitter: @ketab_n

فهي تزحمني و لا تبتعد عني وتلتصق بي كأنها الراتنج المذوب.

– (ودار الحيوانان مرة ثانية حول زارا، وعادا يتفرسان به قائلين له) لقد عرفنا السبب إذا في اصفرار لونك واكمداده وتحول لون شعرك إلى لون القنب، أفلا ترى أنك غارق في المادة الراتنجية، اللزجة وفي شقائك؟

– (وتضاحك زارا قائلا) والحق أنني جدفت عندما ذكرت المادة الراتنجية، فما حدث لي إلا ما يحدث لكل ثمرة يتداركها النضوج. إن العسل هو ما يخثر دمي ويزيد نفسي استغراقا في صمتها.

– (وتقرب النسر والأفعوان من سيدهما وقالا) إن الأمر كما تقول، ولكن أفلا تريد اليوم أن تصعد إلى الجبل العالي، فالهواء نقي يشعرك بلذة الحياة.

– (فقال) إنكما تعربان عن مشتهاي، فأنا أتوق اليوم إلى تسلق المرتفع، ولكن عليكما أن تتداركا لي عسلا من القفير الذهبي، عسلا أصفر وأبيض من أجوده وأبرده لأنني أريد أن أبذله تقدمة إلى الذرى.

ولما وصل زارا إلى القمة وأطلق للحيوانين سراحهما رأى نفسه منفردا فابتسم وأدار فلاحظ ما حوله قائلا:

– لقد تعللت بتقدمة العسل لأتمكن من الانفراد بنفسي فأتكلم حرا طليقا على القمة بعيدا عن منازل النسّاك وحيواناتهم. عندما كنت أذكر التضحية كنت أبدد ما وهب لي بألف واحة منبسطة، فكيف أجسر أن أدعو هذا العمل اليوم تضحية؟

إنني عندما طلبت العسل لم أطلب سوى طعمة للشرك فأردت أخذها من القفير المذهب الذي تتشوق إلى التلذذ به الأطيار والدببة.

طلبت خير طعمة يستعملها الصائدون على اليابسة وفي البحار. فإن الدنيا عبارة عن غابة تغص بالحيوانات، وحديقة يتنعم بها كل صائد وحشي، ولعلها أشبه ببحر زاخر لا قعر له. فهي والحق بحر محتشد

Twitter: @ketab_n

بالأسماك على أنواعها وعديد ألوانها، مما يثير شهية الآلهة أنفسهم حتى أنهم ليصبحون صيادين، يرمون بشباكهم إلى هذا العالم المليء بالعجائب والغرائب كبيرها وصغيرها: وأخص الدنيا عالم الناس برهم وبحرهم، فأنا أرسل في مجالاته المذهبة هاتفا: انفتحي أيتها الأغوار البشرية.

فريديريك نيتشه: هكذا تكلم زارادشت، ترجمة فيليكس فارس، منشورات المكتبة الأهلية- بيروت، ص. 268-269

II .14. مَجَانِينُ السَّعَادَةِ

فريدريك نيتشه

إن بين طلاب السعادة حيوانات ضخمة ثَقُلَتْ حرَكتُها، وبينهم مَنْ وُلِدَ كسيحا، فمثل هؤلاء يحاربون الرشاقة كالفيل يجرّب أن ينتصب على قمة رأسه، غير أن المجانين بالسعادة خير ممن يُجَنّون بالشقاء، والراقص متثاقلا، أفضل ممن يتعارج في مشيته.

تعلموا الحكمة مني، إن لأقبح الأشياء وجهتين لهما حسنهما، ولشر الناس رجلين للرقص، فتعلموا أيها الرجال الراقون أن تقفوا سويا على أقدامكم. أعرضوا عن أشجان العامة وأحزانهم، فإن للمهرجين بينهم في هذا الزمان سيماء الغارقين في الأحزان. ذلك لأن هذا الزمان زمان العامة من بني الإنسان.

كونوا كالهواء المندفع من مغاور الجبال، فهو يهب راقصا على هواه فيرتعش البحر متراقصا لدغدغة نسماته. تبارك من يستنبت أجنحة للحمير، ومن يمد أنامله لضرع اللبؤة فيحتلبها، إن هو إلا الروح الطيب الثائر يهب كالعاصفة من أجل ما هو عتيد ومن أجل ما سيكون. إن هو إلا عدو الرؤوس الشائكة والرؤوس المتثلمة، عدو كل الأعراش الذابلة وكل ما دب فيه الفساد.

Twitter: @ketab_n

تبارك روح العاصفة روحا وحشيا طيبا حرا طليقا، يرقص على مستنقعات الأحزان كأنه يتمايل منها على ناضرات المروج. تبارك من روح يكره الغوغاء المستكلبين الفاقدين الصواب، وكل ناقص يتعزز بالعبوس. تبارك روح العاصفة من قوة تهب الحياة لكل فكرة حرة، تبارك من زعزع يذري الرمال، وهو ضاحك على عيون مقروحة، لا ترى في الوجود إلا قتاما.

أيها الرجال الراقون، إن شر ما فيكم هو أنكم لم تتعلموا الرقص على أصوله لتتوصلوا إلى الانطلاق بخطواتكم فوق رؤوسكم، وما يضيركم ألا توفقوا إذا حاولتم. إن الممكنات كثيرة، أيها الراقون، فتعودوا أن تضحكوا ولو علا ضحككم فوق رؤوسكم. ارفعوا قلوبكم أيها الراقصون المجيدون إلى ما فوق ولا تنسوا أن تضحكوا ضحكا جميلا. إنني ألقي إليكم بإكليل الورود، فهو تاج الضاحكين. لقد طوبت الضحك أيها الرجال الراقون فتعلموه...

فريديريك نيتشه: **هكذا تكلم زارادشت**، ترجمة فيليكس فارس، منشورات المكتبة الأهلية- بيروت، ص. 326-327

II .15. سَعَادةُ الطفُولَة

غاستون باشلار

عندما نحلم في وحدتنا طويلا، نبعد عن الحاضر، نعيش من جديد زمن الحياة الأولى، تأتي للقائنا وجوه أطفال عديدة. لقد كنا عديدين في الحياة التي حاولنا عيشها، في حياتنا البدائية. وعرفنا وحدتنا فقط من خلال قصص الآخرين. على ممر تاريخنا الذي قصه الآخرون، سنة بعد سنة، نصبح شبيهين لذاتنا. نجمع كل كائناتنا حول وحدة اسمنا.

غير أن التأملات الشاردة لا تُقَصّ. أو على الأقل هناك تأملات عميقة جدا، تأملات تساعدنا على الولوج عمقا في ذاتنا إلى درجة أنها

Twitter: @ketab_n

تخلصنا من عبئ تاريخنا. تحررنا من إسمنا. وتعيد لنا الوحدات التي نعيشها اليوم، وحداتنا الأولى. إن هذه الوحدات الأولى، وحدات الطفولة، تترك في بعض الأرواح دفعات لا تمحى. إن أحاسيس الحياة كلها مروضة لصالح التأملات الشاعرية، التأملات التي تعرف ثمن الوحدة. فالناس هم الذين عرفوا الطفولة على التعاسة. في الوحدة يستطيع الطفل تمديد تعاسته. إن الطفل يشعر بذاته ابن الكون عندما يؤمن له العالم الإنساني السلام. وهكذا ففي وحداته، ما أن يتحكم بتأملاته، يعيش الطفل سعادة الحلم التي ستصبح فيما بعد سعادة الشعراء.

وكيف لا نشعر أن هناك اتصالا بين وحدة الحالم ووحدات الطفولة؟ وأنه ليس من قبيل العبث أننا، في تأملاتنا المطمئنة، نتبع غالبا المنحدر الذي يعيدنا إلى وحدات طفولتنا.

(...) إن الطروحات التي نريد الدفاع عنها، تعود جميعها إلى الاعتراف بديمومة نواة طفولة في الروح الإنسانية، ثابتة ولكن دوما حية، خارج التاريخ، مخبأة على الآخرين، مقنعة عندما يقصها الآخرون، هذه الطفولة التي ليس لها كائن حقيقي إلا في لحظاتها المستنيرة، والأفضل أن نقول في لحظات وجودها الشاعري. عندما كان يحلم الطفل في وحدته، كان يعرف وجودا بلا حدود. وتأملاته لم تكن ببساطة تأملات هروب، إنما كانت تأملات انطلاق وهبوب.

غاستون باشلار، **شاعرية أحلام اليقظة**، ترجمة جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1991، ص 86-87.

Twitter: @ketab_n

II .16. الحُبُّ طَرِيقُ السَّعَادَةِ

أفلاطون

إن ذاك الذي اقْتِيد طوال حياته، في طريق الحب، وبعد أن يكون قد تأمل في الأشياء الجميلة بتدرج منتظم، سيدرك المعنى الأسمى، وسيتراءى له فجأة جمال ذو طبيعة خلابة، يتعلق الأمر بجمال خالد، لا يعرف ولادة، ولا موتا، ولا يعاني لا من إفراط ولا تفريط، ولايكون جميلا من هذا الجانب وقبيحا من الجانب الآخر، ولا يكون جميلا في هذا الوقت و قبيحا في وقت آخر، ولا يكون جميلا في هذا المكان وقبيحا في مكان آخر، ولا يكون جميلا في هذه العلاقة، وقبيحا في علاقة أخرى، ولا يكون جميلا بالنسبة لهؤلاء وقبيحا بالنسبة لأولئك؛ يتعلق الأمر بجمال لا يتمثله كجمال وجه، أو يدين، وبالتالي كجمال جسدي، كما لا يتمثله كبرهان، أو كعلم، ولا كشيء يوجد في شيء آخر، في الحيوان، في الأرض، في السماء، أو في هذا الشيء أو ذاك: بل عكس ذلك إنه جمال يوجد في ذاته وبذاته، جمال بسيط وخالد، وبواسطته تشارك باقي الأشياء الجميلة الأخرى، بحيث إن ولادتها أو موتها، لا تضيف عليه ولا تنقص منه شيئا، ولا تغير من واقع الحال أي شيء... إن الطريق الحقيقي للحب، الذي ننخرط فيه من تلقاء أنفسنا، بحيث نتركه يقودنا أينما شاء، هو الطريق الذي ننطلق فيه من الجمال المحسوس ونصعد قدما نحو هذا الجمال فوق الطبيعي، مرورا بشكل متدرج من جسد جميل واحد إلى جسد جميل ثان، و من جمال هذين الإثنين إلى جمال الأجساد، ثم ننتقل من الأجساد الجميلة، إلى الأفعال الجميلة وإلى العلوم الجميلة، لكي نصل بهذه العلوم إلى مرتبة العلم الذي لن يكون شيئا آخر سوى علم الجمال المطلق، ولكي نتعرف في نهاية المطاف على الجميل كما هو في حد ذاته.

Twitter: @ketab_n

لنتخيل حجم السعادة، التي يبلغها الإنسان، إذا استطاع أن يرى ما هو جميل في ذاته، بسيطا، خالصا، وعوض هذا الجمال المكون من لحم ودم، من ألوان ومئات الزوائد الأخرى الفانية، نجده يتأمل الجمال الرباني في ذاته في شكله الأوحد.

(Platon, Le *Banquet*, in) Denis Huisman, Marie-Agnès Mafray, *les pages les plus célèbres de la philosophie* occidentale,Perrin, 2000, p.45

II .17. السَّعَادَةُ وَهَاجِسُ التَّقَدُّمِ

سيجموند فرويد

بالنسبة للأجيال الأخيرة، يمكن القول إن الناس جعلوا من أنواع التقدم الهائلة في علوم الطبيعة، وفي تطبيقاتها التقنية، دعامات لبسط سيطرتهم على الطبيعة بشكل لم يكن واردا تمثله سابقا. إن تفاصيل أشكال هذا التقدم معروفة على العموم، ولا داعي لتعدادها. إن الناس فخورين بهذه الفتوحات العلمية، ولهم الحق في أن يكونوا كذلك. لكنهم يعتقدون أنهم انتبهوا إلى كون هذه الإمكانية الجديدة التي اكتسبوها، بصدد تدبير المكان والزمان، وهذا الإخضاع لقوى الطبيعة، وكذا تحقيق طموحاتهم الألفية، لم ترفع من درجة الإشباع، واللذة التي ينتظرانها من الحياة، ولم تنجح، حسب ما يشعرون به، في جعلهم أكثر سعادة. يمكن أن نكتفي باستخلاص من هذه الملاحظة النتيجة التالية: إن السلطة على الطبيعة ليس هو الشرط الوحيد لتحقيق السعادة الإنسانية، كما أنه بالتأكيد، ليس الهدف الوحيد الذي تتوخاه ميولات الثقافة، هذا لا يعني القول، إن هذه الأنواع من التقدم لا قيمة لها، بالنسبة لاقتصاد سعادتنا. قد يعترض علينا بقول ما يلي: ألسنا أمام مكسب متعلق بلذة إيجابية، بإحساس بالسعادة متزايد لا مثيل له، عندما نستطيع أن نسمع في الغالب من يقول، يروقني صوت الطفل الذي يعيش بعيدا عني، تفصلني عنه

Twitter: @ketab_n

مئات الكيلومترات، أكثر مما يمكن أن نتعلمه في وقت وجيز، من صديق حط الرحال، واستطاع أن ينجو بعد سفر طويل وشاق؟ ألا يعني ذلك، أن الطب نجح في التقليص، بشكل هائل، من وفيات الأطفال الصغار، ومن مخاطر إصابات النساء المنجبات، بل نجح حتى في تمديد بشكل ملحوظ، المعدل المتوسط للحياة بالنسبة للإنسان وللثقافة؟

يتعلق الأمر بخيرات، التي نحن مدينون بها لهذا العصر، الذي يعج بأنواع عديدة من التقدم العلمي والتقني، التي لا تعد ولا تحصى؛ لكن ها هو ذا صوت النقد التشاؤمي، يدوّي صداه ويذكرنا بكون أغلب هذه الإشباعات، تسير وفق نموذج «الإرضاء بثمن بخس»، والذي تعمل بعض الطرائف على مدحه. إننا نحصل على هذه المتعة، عندما نخرج ساقنا من الغطاء ونتركها عارية، في ليل بارد من ليالي الشتاء، لكي نقوم بعد ذلك بإدخالها تحت الغطاء. لو لا سكة الحديد، التي جعلتنا نتغلب على المسافات البعيدة، لما كان بوسع الطفل أبدا أن يغادر مسقط رأسه، ولما كنا في حاجة إلى هاتف نسمع من خلاله صوته. لو لم يكن الإبحار فيما وراء المحيط ممكنا، لما قام ذاك الصديق برحلته عبر البحر. ولما كنت في حاجة إلى تلغراف يهدئ من روع قلقي عليه. ما فائدة التقليص من عدد وفاة الأطفال، إذا كانت تحديدا ستفرض علينا أقصى التحفظات بالنسبة للإنجاب، بحيث إننا على العموم لم نعد نربي، رغم كل ذلك، أطفالا أكثر مما كان عليه الأمر في العصور السابقة، التي كانت تخضع لمراقبة طبية صارمة(...)؟ وأخيرا، ما فائدة حياة طويلة، إذا كانت شاقة، فقيرة على مستوى الأفراح، ومليئة بالمعاناة، إلى درجة أننا قد نستقبل الموت باعتبارها خلاصا؟

Sigmund Freud, *Le malaise dans la culture*, trad.P.Cotet,R. Lainé et J. Stute-Cadot, éd. Des PUF, coll. «Quadrige», 1995, p.91-92

Twitter: @ketab_n

II .18. كَآبَةُ السَّعَادَةِ

فلادمير جانكيليفيتش

مثلما يقع لعقل مبالغ في العقلنة، عندما يتحول إلى غباوة، كذلك الشأن بالنسبة لسعادة مبالغ فيها، حيث تنقلب إلى ضدها : لأن الانحطاط يبدأ مع بلوغ الذروة، والأحسن هو عدو الجيد. فأن نتقمص دور الملاك هنا، لا يعني فقط المبالغة، بل أيضا الدوام والخلود: لأن الضجر، إذا ما بدأ أبعد من درجة معينة، لأنه يبدأ أيضا أبعد من اللحظة التي نكون فيها. إن الخلط الذي يقع بين اللحظة التي نكون فيها، وبين المدة الفاصلة بين ما سنكون عليه، وبين الاستمرار الطائش لفعل تفضيلي، لا يمكن أن يكون إلا أن يكون منتظما، وبين عدم الإقرار أخيرا بهذا الظهور المنذور للاختفاء، كل هذه الأسباب تتواطأ وتؤدي إلى خيبة أملنا. إن إفلاس السعادة، أوبعبارة أخرى الضجر، يرجع بالأساس إلى سوء حال، وتهرؤ الحالة التي نكون عليها، داخل المدة التي ستفصلنا عن ما سنكون عليه. إن خيبة أملنا تبدأ منذ بذلنا أول مجهود، من أجل استقرار اللذة، وإعطائها بعدا مُتَعِياً، لكي نمدد بشكل مستمر هذا التماس الهارب مع لذة ثانية. ومثل منقلب لا يستمر سوى يوم واحد، فإن الوعي السعيد جدا، الناجم عن ذروة الإحساس بالغبطة، لا يدوم إلا داخل فضاء لحظة محددة: فليس الكمال هو ما يتعذر بلوغه، بل إن بلوغ الأقصى هو الذي لا يمكن أن نستقر عليه؛ يمكن أن نبلغ ما نريده، لكن لا يمكننا الحفاظ عليه! (...) إن «كآبة السعادة»، لا ترجع فقط إلى الوعي بمدى هشاشتها، يعني الوعي بالظروف غير القارة التي يتطلب توفرها، وبالحوادث التي تعترض السعادة؛ إن هذه الكآبة التي تجتاح السعادة، مثل ظل غير محسوس، يكدر كل بهجة، ويتضوع داخل مركز اللذة بذاته؛ إنه ظل لا يسير من الخارج إلى الداخل، بل من الداخل إلى

Twitter: @ketab_n

الخارج. لنسمي الغبطة تلك السعادة الإيجابية جدا، الخالصة، والتي لا تشوبها شائبة: فالغبطة ما إن يكن بإمكان الإنسان إدراكها، حتى تصبح « أقصى» ما يمكن إدراكه، بحيث لا يمكن أن تتغير، إذ تبقى قارة، رغم شدتها، كما أنها كاملة وشفانية، وتحافظ على تألقها الجميل. لكن لأنه يتعذر علينا تجاوز محدوديتنا، فإن مثل هذه الحالة، المتعلقة بالسعادة المبالغ فيها أو بهذا النبوغ الخلاق، لا يمكن أن يمتد فيما وراء اللحظة التي نكون عليها دون السقوط في التكرار: الفرح هو حاضر لحظي، وكل ما نعرفه عن سعادة- خالدة، هي كونها مثل الحدس، نستشفه لحظيا، وهي كل ما تمنحنا إياه هذه الغنوصية الدائمة، مثل الشجاعة اللحظية، إنها عبارة عن وميض و رمش جزء من الألف في الثانية الواحدة، وهو كاف لكي يقوم مقام بطولة معتادة، هي تحديدا يتعذر بلوغها، إذ تبقى شيئا يتجاوز القدرة الإنسانية. إن الفرح، باعتباره انفعالا، ونزوة عنيفة، ليس لديه متسع من الوقت، لكي يتحول إلى ضجر.

Vladimir Jankélévich, *L'aventure, L'ennui, Le serieux*, ed, Flammarion, 1998. p. 884-885

II .19. وَاجِبُ السَّعَادَة

إيمانويل كانط

أن يكون المرء سعيداً، تلك هي بالضرورة رغبة كل كائن عاقل وفان، من هذا المنطلق فالأمر يتعلق، بشكل لا مناص منه، بمبدأ محدد لملكته في الرغبة. أن يكون المرء فرحا بوجوده في كليته، لا يعني في الواقع نوعا من التملك الأصلي، وليس عبارة فقط عن هناء يفترض وجود وعي باستقلاليته وبوضعيته التي تجعله مكتفيا بذاته؛ فهذا مشكل تفرضه علينا طبيعتنا الفانية ذاتها؛ لأن لدينا حاجات تتعلق مادة ملكتنا في الرغبة، يعني شيء ما يحيل على إحساس باللذة أوالألم، والذي نتخذه

Twitter: @ketab_n

ذاتيا كمبدأ يحدد ما نحن في حاجة إليه لكي نكون فرحين بوضعيتنا. لكن، ولأن هذا المبدأ المادي المتحكم في تحديد هذه الحاجات، لا يمكن تحديدا أن تتعرف عليه الذات سوى إمبريقيا، فإنه يستحيل أن نعتبر هذا المشكل كقانون؛ لأن القانون، باعتباره شيئا موضوعيا، يجب أن يحيل، في كل الحالات وبالنسبة لكل الكائنات العاقلة، على نفس المبدأ المحدد للإرادة. في الواقع، رغم أن مفهوم السعادة يصلح أن نتخذه دائما كأساس رابط بين الجانب العملي للأشياء وملكة الرغبة، فإنه مع ذلك ليس سوى عنوان عام للمبادئ الذاتية لكل تحديد، ولا يحدد أي شيء على الخصوص، بينما هذا هو بيت القصيد، في هذا المشكل العملي، والذي لا يمكن حله بهذا الشكل من التحديد.

إن الإحساس الخاص باللذة والاشمئزاز، المتعلق بكل واحد على حدة، يمليان عليه كيفية موقعة سعادته، وحتى بالنسبة للذات الواحدة، فإن هذا الاختيار رهين باختلاف الحاجات التي تتغير حسب تغيرات هذا الإحساس، هكذا فإن القانون الذاتي الضروري (مثل القانون الطبيعي)، هو موضوعيا عبارة عن مبدأ عملي محتمل، والذي يمكن ويجب أن يكون مختلفاً جدا بالنسبة لذوات مختلفة، وبالتالي لا يمكن أن يمدنا بقانون، مادام الأمر يتعلق بالنسبة للرغبة في السعادة، ليس بشكل الخضوع للقانون، بل بالمحتوى، يعني معرفة ما إذا كان يتعين علي أن أنتظر حتى أحصل على اللذة، وكم ينبغي أن أنتظر، عندما آخذ بعين الاعتبار القانون.

E.Kant, *Critique de la raison pratique*, trad Picavet, éd.P.U.F, 1788, p. 20-24

Twitter: @ketab_n

II .20. أَيْنَ هِيَ السَّعَادَة؟

فولتير

من منا يدعي أنه يستحق أن يكون سعيدا؟
مهما كانت الوجهة التي سنتخذ، فإننا لا محالة سنرتجف.
لا وجود لشيء لا يمكن معرفته، ولا وجود لشيء لا يمكن الشك فيه.
الطبيعة بكماء، ونحن نستنطقها بدون جدوى؛
نحن بحاجة إلى إله يكلم الجنس البشري.
فوحده يستطيع تفسير صنيعه،
يواسي الضعيف، وينور الحكيم.
والإنسان بدونه سيكون عرضة للشك، للخطإ،
إنه يبحث عبثا عن دعائم يتكئ عليها. فليبنتز لم يعلمني قط ما هي العقد غير المرئية،
في هذا الكون الأفضل انتظاما من غيره من الأكوان الممكنة،
هذا اختلال خالد، هذه فوضى عارمة من التعاسات،
وهذه آلام واقعية تختلط مع ملذاتنا التافهة،
لا تقل لما يوجد البريء، ويوجد المذنب،
وتحمل كذلك هذا الشر الذي لابد منه.
إنني لا أتصور كيف يمكن أن يكون كل شيء على ما يرام:
أنا مثل طبيب؛ مع الأسف لا أعرف شيئا.
قال أفلاطون، إن الإنسان سابقا كانت له أجنحة،
كان الجسد مستعصيا على الهجمات القاتلة؛
و لم يكن الألم والمنية يجرئان قط على الاقتراب منه.
لكنه تراجع اليوم عن هذه الوضعية المتألقة!أعرف شيئا.أأ

Twitter: @ketab_n

إنه يستكين، يتألم، يموت؛ كل ما يولد يفنى؛
الطبيعة إمبراطورية التخريب.
الكائن الضعيف، المؤلف من أعصاب وعظام
لا يمكن إلا أن يكون حساسا بصدمة العناصر؛
إن هذا الخليط الذي يتضمن الدم، و السوائل، و التراب،
ولأنه خلق من هذا التركيب، فإنه منذور للتحلل؛
ولأنه ذو إحساس عابر، ناجم عن أعصابه المرهفة
فهو يخضع للآلام، و لأسباب المنية:
هذا ما علمني إياه صوت الطبيعة.
سأترك أفلاطون، سأرفض أبيقور.
لقد كان بايل يعرف اكثر منهم جميعا؛ سأستشيره:
يمسك بايل الميزان بيديه، ويعلم كيفية الشك،
إنه حكيم وكبير بما فيه الكفاية، ودون حاجة إلى نسق،
لقد دمر كل الأنسقة، وأصبح يصارع بنفسه:
مثل ذاك الأعمى، الذي يتعرض لأذى غير المستنيرين،
حيث يسقط تحت أنقاض الجدران، التي هدمها بيديه.
ماذا في وسع الفكر أن يفعل تجاه هذا الامتداد الشاسع؟
لا شيء؛ فكتاب المصير مغلق في وجهنا.
الإنسان، غريب عن ذاته، إنه ذلك المجهول.
من أنا، أين أنا، إلى أين أسير، ومن أين أتيت؟
ثلة ذرات موزعة على هذا الركام من الطين،
تبتلعه الموت، ويستخف به المصير،
لكن الذرات المفكرة، الذرات صاحبة العيون،
التي يقودها الفكر، سبرت أغوار السماوات؛
في قلب اللانهائي، قذفنا وجودنا،

Twitter: @ketab_n

دون أن نستطيع ولو للحظة، أن نرى أنفسنا وأن نتعرف عليها.
هذا العالم، هذا المسرح، مليء بالخيلاء وبالغلط،
ومليء بالتعساء، الذين يتحدثون عن السعادة.
الكل يتشكى، الكل يتحسر بحثا عن الهناء:
لا أحد يريد الموت، ولا أحد يريد أن يولد من جديد.
أحيانا، وفي خضم أيامنا المليئة بالآلام،
نمسح دموعنا بيد اللذة؛
لكن اللذة تطير محلقة، وتمر عابرة كظل؛
فأحزاننا، وتحسراتنا، وخسائرنا، لا حصر لها.
والماضي بالنسبة لنا، ليس سوى ذكرى حزينة؛
والحاضر مريع، إذا لم يكن هناك قط مستقبل،
وإذا كانت ظلمات القبر، ستدمر الكائن الذي يفكر.
سيأتي يوم، يكون فيه كل شيء على ما يرام، هذا هو أملنا؛
يا له من وهم، أن ندعي أن كل شيء اليوم على ما يرام.
لقد خذلني الحكماء، ووحده الله كان على صواب.
وضيع في تحسراتي، خاضع في معاناتي،
لا أعترض على العناية الإلاهية.
لقد رأوني ذات مرة، وعلى إيقاع أقل حزنا
أغني لحن اللذات العذبة، والقوانين المغرية؛
في أزمنة أخرى، و أخلاق أخرى: تعلمنا إياها الشيخوخة،
ثمة أناس تائهين، يتقاسمون الضعف البشري،
في ليل بهيم، يسعون نحو تنويري

(François-Marie Arouet (dit voltaire): *Sur le desastre de Lisbonne*) Denis Huisman, Marie-Agrès Mafray, *les pages les plus célèbres de la philosophie occidentale*, ed. Perrin, 2000, p. 223-224

Twitter: @ketab_n

III. السَّعَادَة بَيْنَ الـمُمْكِن والـمُسْتَحِيلِ

III.1. العلم والسعادة

هنري بوانكاري

إذا كنا نخشى العلم فلأنه، قبل كل شيء، لا يستطيع أن يمنحنا السعادة. وبطبيعة الحال، فإن العلم لا يستطيع أن يمنحنا هذه السعادة. ويمكن أن نتساءل عما إذا لم يكن الحيوان أقل تألما من الإنسان. ومع ذلك، هل يمكن أن نأسف حقا على ذلك النعيم الأرضي الذي كان فيه الإنسان مثل الحيوان، خالدا إذ كان يجهل أنه يجب أن يموت، أي إذ لم تكن لديه أية معرفة علمية؟ عندما يأكل الإنسان من التفاحة فإنه يستحيل أن ينسيه أي ألم طعمها وسيعود إليها باستمرار. كذلك الأمر بالنسبة للبحث عن الحقيقة العلمية، إن الإنسان لم يعد بإمكانه التخلي عن السعي نحوها. فهل بإمكانه أن يفعل غير هذا؟ هذا السؤال مثل التساؤل عما إذا كان المبصر الذي أصيب بالعمى سيفقد الحنين إلى الضوء.

وهكذا، فإن الإنسان لا يمكن أن يكون سعيدا بواسطة العلم، ولكنه اليوم أقل قدرة على أن يكون سعيدا بدونه.

إذا كانت الحقيقة هي الهدف الوحيد الذي يستحق أن نسعى إليه، فهل نستطيع الأمل في الوصول إليها؟ هذا ما يمكن الشك فيه، فالحقيقة التي يمكن أن نلمح ليست بالتمام ما يطلق عليه أغلبية الناس هذا الاسم. هل يعني هذا أن تطلعنا الأكثر مشروعية وإلحاحا هو في الوقت نفسه التطلع الأكثر وهما أم هل نستطيع رغم ذلك أن نقترب من الحقيقة من

Twitter: @ketab_n

جهة ما؟ هذا ما يجدر بنا بحثه.

هنري بوانكاري، **قيمة العلم**، ترجمة الميلودي شغموم، دار التنوير، ص1982.

III.2. صُعوبَةُ تحقِيق السَّعَادَة

إيمانويل كانط

كل المبادئ التي يمكن أن نتبناها، هي إما مبادئ إمبريقية أو عقلية. الأولى مستوحاة من مبدأ السعادة، ومؤسسة على الإحساس، البدني والأخلاقي؛ والثانية، مستوحاة من مبدأ الكمال، وهي مؤسسة، إما على المفهوم العقلاني للكمال، منظورا إليه كنتيجة ممكنة، أو على مفهوم للكمال موجود من تلقاء ذاته (إرادة الله)، منظورا إليه كعلة محددة لإرادتنا.

إن المبادئ الإمبريقية، هي دائما غير ملائمة لكي تكون أساسا للقوانين الأخلاقية. لأن الكونية التي يجب أن تحظى بها، بالنسبة لكل الكائنات العاقلة على اختلافها، وكذا الضرورة العملية غير المشروطة التي فرضت عليها، يتلاشيان إذا كان المبدأ المتحكم فيها مشتق من القانون الأساسي الخاص بالطبيعة الإنسانية أو بالظروف العارضة، التي زج به فيها. و مع ذلك فإن مبدأ السعادة الشخصية هو الأكثر عرضة للاتهام، لا فقط لأنه خاطئ، ولأن التجربة تناقض الافتراض الذي يرى أن الهناء، يقتدي دائما بفعل الخير؛ و ليس فقط لأنه لا يساهم في تأسيس الأخلاقية، فأن نجعل إنسانا ما سعيدا، ليس هو أن نجعله خيرا، وأن نجعله حذرا و ثاقب الفكر، مراعاة لمصالحه، ليس هو أن نجعله فاضلا؛ ولكن لأنه يفترض وجود، تحت لواء الأخلاقية، بواعث تعمل بالأحرى على تلغيمه وتخريب كل العظمة التي يتحلى بها. كما يتضمن في الواقع، الدوافع التي تقود نحو الفضيلة، وتلك التي تقود إلى الرذيلة؛ كل هذه

Twitter: @ketab_n

الأشياء تعلمنا كيف نحسب الأمور جيدا: لكنها تمحو مطلقا الاختلاف الخاص الموجود بين كلا الطرفين.

E Kant, *Fondements de la métaphysique des mœurs*, traduction Victor Delbos,cérès edition, 1994, p.133-134

III.3. مَعْرِفَةُ السَّعَادَة

أبو الوليد ابن رشد

إن معرفة وضع الشرائع ليس تنال إلا بعد المعرفة بالله وبالسعادة الإنسانية والشقاء الإنساني وبالأمور الإرادية التي يتوصل بها إلى السعادة، وهي الخيرات والحسنات، وأما الأمور التي تعوق عن السعادة وتورث الشقاء الأخروي، فهي الشرور والسيئات.

ومعرفة السعادة الإنسانية والشقاء الإنساني تستدعي معرفة ما هي النفس وما جوهرها، وهل لها سعادة أخروية وشقاء أخروي أم لا، وإن كان فما مقدار هذه السعادة وهذا الشقاء؟ فبأي مقدار تكون الحسنات سببا للسعادة، فإنه كما أن الأغذية ليست تكون سببا للصحة، بأي مقدار استعملت، و في أي وقت استعملت، بل بمقدار مخصوص. وكذلك الأمر في الحسنات والسيئات. ولذلك نجد هذه كلها محدودة في الشرائع وهذا كله أو معظمه ليس يتبين إلا بوحي، أو يكون تبيينه بالوحي أفضل. وأيضا فإن معرفة الله على التمام، إنما تحصل بعد المعرفة بجميع الموجودات، ثم يحتاج إلى هذا كله واضع الشرائع أن يعرف مقدار ما يكون به الجمهور سعيدا من هذه المعرفة، وأي الطرق هي الطرق التي ينبغي أن تسلك بهم في هذه المعارف؟ وهذا كله بل أكثره، ليس يدرك بتعلم ولا بصناعة ولا حكمة. وقد يعرف ذلك على اليقين من زوال العلوم، وبخاصة وضع الشرائع، وتقرير القوانين، والإعلام بأحوال المعاد. ولما وجدت هذه كلها في الكتاب العزيز على أتم ما يمكن، علم أن ذلك بوحي من عند الله، وأنه كلامه ألقاه على لسان نبيه.

ابن رشد، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، دار الآفاق الجديدة، 1982، ص 116-117

Twitter: @ketab_n

III.4. أَصْلُ السَّعَادَةِ

أرسطو

ثمةَ سؤال محير: هل يمكن تعليمُ السعادة؟ هل يمكن اكتسابها بحكم الاستخدام، أو تبعا للقيام ببعض التدريبات؟ أم أننا نتلقاها كهبة من الآلهة أو كصُدفة سعيدة نابعة عن حُسْن الطالع؟ إذا كانت الآلهة تهبنا هبات أخرى، فمن المعقول أن نرى كذلك، في السعادة هبة إلهية، يصح اعتبارها أسمى الخيرات بالنسبة للإنسان. لكن وعلى ما يبدو، فإن هذا السؤال يرتبط بشكل أفضل بنوع آخر من البحوث. ومن البداهة حتى لو سلمنا أنها ليست هبة إلهية، وأننا نحصل عليها عن طريق الفضيلة، بواسطة بعض دراساتنا أوممارساتنا أن السعادة هي من طبيعة الأشياء الربانية للغاية. لأن ثمن وغاية الفضيلة، بكل بداهة، هما شيئان جليلان وربانيان، إلى حد ما، ومولدان للسعادة.

قد يجوز كذلك أن تكون أكثر ذيوعا. لأنه ليس من المستحيل أن تتحقق السعادة في يوم ما، بفضل بعض الدراسات أو بعض التطبيقات، إذا كان الناس غير متمردين على الفضائل. من الأفضل أن نكون سعداء بحكم الصدفة، هذا ما نستطيع تأسيسه بالعقل. إذا كانت أجمل الأشياء الممكنة حسب الطبيعة، هي كذلك بحكم استعداد طبيعي، ونفس الشيء يمكن قوله عن الأشياء التي تكون رهينة بفن أو بعلة ما، و عن الأشياء التي تكون رهينة بعلة هائلة. فأن نلجأ للصدفة، بالنسبة لما هو أساسي وجميل بشكل سامي، يعني أن نرتكب أكبر خطأ ممكن.

إن موضوع بحثنا واضح الآن، ومتطابق مع تفسيرنا. لقد قلنا، في الواقع، إن السعادة هي نوعٌ من النشاط الذي تقوم به الروح، والذي يكون متطابقا مع الفضيلة. أما بالنسبة للخيرات الأخرى، فبعضها ضروري، وهي في متناولنا، أما بعضها الآخر فهو ثانوي، وتمدنا به

Twitter: @ketab_n

الطبيعة، كوسائل ناجعة. وعلاوة على ذلك فهذه الخصائص لا تتعارض مع ما قلناه سابقا.

Aristote, Ethique de Nicomaque, trd J. voilquin, GF Flammarion, 1965, p.33-34

III.5. بلوغُ السعَادة

أبو نصر الفارابي

عندما تحصل هذه المعقولات للإنسان يحدث له بالطبع تأمل، وروية وذكر، وتشوق إلى الاستنباط، ونزوع إلى بعض ما عقله أولا، وشوق إليه وإلى بعض ما يستنبطه، أوكراهته. والنزوع إلى ما أدركه بالجملة هو الإرادة. فإن كان ذلك النزوع عن إحساس أو تخيل، سمي بالاسم العام وهو الإرادة، وإن كان ذلك عن روية أو عن نطق في الجملة، سمي الاختيار. وهذا يوجد في الإنسان خاصة. وأما النزوع عن إحساس أو تخيل فهو أيضا في سائر الحيوان. وحصول المعقولات الأولى للإنسان هو استكماله الأول، وهذه المعقولات إنما جعلت له ليستعملها في أن يصير إلى استكماله الأخير.

السعادة هي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد، وأن تبقى على تلك الحال دائما أبدا. إلا أن رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعال. وإنما تبلغ ذلك بأفعال ما إرادية، بعضها أفعال فكرية، وبعضها أفعال بدنية، وليست بأي أفعال اتفقت، بل بأفعال ما محدودة مقدرة تحصل عن هيئات ما وملكات مقدرة ومحدودة. وذلك أن من الأفعال الإرادية ما يعوق عن السعادة. والسعادة هي الخير المطلوب لذاته، وليست تطلب أصلا ولا في وقت من الأوقات لينال بها شيء آخر، وليس وراءها شيء

Twitter: @ketab_n

آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها. والأفعال الإرادية التي تنفع في بلوغ السعادة هي الأفعال الجميلة. والهيئات والملكات التي تصدر عنها هذه الأفعال هي الفضائل. وهذه خيرات هي لا لأجل ذواتها بل إنما هي خيرات لأجل السعادة. و الأفعال التي تعوق عن السعادة هي الشرور، وهي الأفعال القبيحة. والهيئات والملكات التي عنها تكون هذه الأفعال هي النقائض والرذائل والخسائس.

فالقوة الغاذية التي في الإنسان إنما جعلت لتخدم البدن، وجعلت الحاسة والمتخيلة لتخدما البدن ولتخدما القوة الناطقة. وخدمة هذه الثلاثة للبدن راجعة إلى خدمة القوة الناطقة، إذ كان قوام الناطقة أولا بالبدن. والناطقة، منها عملية ومنها نظرية. والعملية جعلت لتخدم النظرية، والنظرية لا لتخدم شيئا آخر، بل ليوصل بها إلى السعادة.

الفارابي، **كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة**، سراس للنشر، 1992، ص.92-93

III.6. السعادةُ واللذَّة

أرسطو

كيف يحدث إذن أن لا أحد يشعر باللذة بشكل مستمر؟ هل التعب هو الذي يقف حجر عثرة أمام ذلك؟ لأن لا شيء مما هو إنساني، يمكن أن يكون قادرا على القيام بنشاط دون أي توقف. هذا هو شأن اللذة، فهي لا يمكن أن تكون دائمة، مادامت ترافق النشاط. والحالة هذه فبعض الأشياء تكون مثار لذة بالنسبة لنا، نظرا لجدتها؛ لكن مع المدة، ولنفس السبب، تصبح بشكل أقل مثار لذتنا؛ قبل كل شيء فالتأمل يوجد في حالة تهيج ويكرس لهذه الأشياء نشاطا رفيعا مثلما يفعل، بالنسبة للنظر، أولئك الذين ينظرون بكل عناية؛ وتبعا لذلك فإن هذا النشاط يتقلص ويفتر؛ ينجم عن ذلك أن هذه اللذة هي الأخرى تضعف.

قد يَتمُّ الاعتقاد كذلك أن كل الناس يميلون نحو اللذة، لأنهم

Twitter: @ketab_n

كلهم يرغبون في العيش. والحالة هذه فالحياة، هي إلى حد ما، عبارة عن نشاط يتم القيام به، وكل واحد يكرس مجهوداته الحية للأشياء التي يشعر بأنه يفضلها بشكل ملحوظ، وذلك باستخدام الملكات التي يحب مزاولتها. فعلى سبيل المثال نذكر: أن الموسيقي يستعمل حاسة السمع بالنسبة للأنغام التي يحبها؛ فالإنسان الذي يحب المعرفة يكرس تفكيره في خدمة التأملات العلمية، وهكذا دواليك، بالنسبة لمختلف المجالات. والحالة هذه، لقد قلنا سابقا إن اللذة تكمل مختلف أشكال النشاط الإنساني؛ إنها تكمل إذن الحياة التي يرنو إليها الناس. هكذا فهم على صواب، عندما يبحثون كذلك عن اللذة التي تتوج حياة كل واحد، ويجعلونها شيئا مرغوبا فيه.

أما بالنسبة للمسألة المتعلقة بمعرفة ما إذا كانت اللذة هي التي تجعلنا نرغب في الحياة، أم أن الحياة هي التي تجعلنا نرغب في اللذة، لنترك مؤقتا هذه المسألة جانبا. ومع ذلك، فإن هذين الميلين يبدوان مترابطين بشكل متين، ويستحيل الفصل بينهما؛ لا لذة بدون نشاط، وكل نشاط يجد اكتماله في اللذة.

Aristote, *Ethique de Nicomaque*, trad J.voilquin, ed, GF Flammarion. 1965, p. 269

III.7. سعادةُ المشاهَدة

أبو بكر محمد ابن طفيل

وما زال يطلب الفناء عن نفسه ولإخلاص في مشاهدة الحق، حتى تأتى له ذلك، وغابت عن ذكره وفكره السماوات والأرض وما بينهما، وجميع الصور الروحانية والقوى الجسمانية، وجميع القوى المفارقة للمواد، والتي هي الذوات العارفة بالموجود الحق؛ وغابت ذاته في جملة تلك الذوات، وتلاشى الكل واضمحل، وصار هباء منثورا، ولم يبق إلا الواحد الحق الموجود الثابت الوجود....فلا تكلف قلبك بوصف أمر لم

Twitter: @ketab_n

يخطر على قلب بشر، فإن كثيرا من الأمور التي تخطر على قلوب البشر قد يتعذر وصفها، فكيف بأمر لا سبيل إلى خطوره على القلب، ولا هو من عالمه ولا من طوره!؟ ولست أعني بالقلب جسم القلب، ولا الروح التي في تجويفه بل أعني صورة تلك الروح الفائضة بقواها على بدن الإنسان، فإن كل واحد من هذه الثلاثة يقال له «قلب» ولكن لا سبيل لخطور ذلك الأمر على واحد من هذه الثلاثة، ولا يتأتى التعبير إلا عما خطر عليها. ومن رام التعبير عن تلك الحال، فقد رام مستحيلا وهو بمنزلة من يريد أن يذوق الألوان من حيث هي ألوان، ويطلب أن يكون السواد مثلا حلوا أو حامضا. لكنا، مع ذلك، لا نخليك عن إشارات نومئ بها إلى مشاهدة من عجائب ذلك المقام، على سبيل ضرب المثل، لا على سبيل قرع باب الحقيقة. إذ لا سبيل إلى التحقق بما في ذلك المقام إلا بالوصول إليه.

ابن طفيل، **حي بن يقظان**، تقديم وتحقيق فاروق سعد، الدار العربية للكتاب، 1983، ص. 205-206

III.8. السعادةُ بين الغرِيزة والعَقل

إيمانويل كانط

إذا كان هدف الطبيعة، بالنسبة للكائن المتميز بالعقل وبالإرادة، هو المحافظة على بقاءه، وضمان العيش الهنيء له، وفي كلمة واحدة تحقيق سعادته، فإنها ستكون مخطئة لو اختارت عقل الإنسان كوسيلة لتحقيق هدفها. لأن كل الأفعال التي يجب على هذا الكائن القيام بها بهذا الصدد، و كذا فالقاعدة التامة المتعلقة بسلوكه، كلها أشياء تمليها عليه الغريزة، ذلك أن هذه الغاية كان من الممكن الوصول إليها بالتأكيد، بشكل يستطيع العقل الإتيان بها؛ وفضلا عن ذلك، إذا كان عقل الإنسان يعتبر امتيازا، فإنه لن يصلح له إلا من أجل القيام بتأملات حول

Twitter: @ketab_n

العدد السعيدة التي تحظى بها طبيعته، من أجل تقديرها، والاستمتاع بها والاعتراف بجميل العلة الغائية، وليس من أجل الخضوع إلى هذه القيادة الضعيفة والخادعة، المتعلقة بملكته في الرغبة وفي الانكباب بكل تصنع على تنفيذ كل ما تأمر به الطبيعة. وفي كلمة واحدة فالطبيعة تعمل على الحيلولة دون أن يتورط العقل في الحس العملي، و في تخمينات، اعتمادا على أضواءه الضعيفة، فيرسم مسارا للسعادة وللطريق المؤدي إليها؛ فالطبيعة أخذت على عاتقها اختيار، لا فقط الغايات بل أيضا الوسائل ذاتها، و بنوع من الحكمة المتبصرة، أوكلتها كلها وبكل بساطة إلى الغريزة.

في الواقع، نلاحظ كلما انشغل عقل الإنسان بالانغماس في متعة الحياة والسعادة، ابتعد هذا الأخير عن تحقيق الرضا الحقيقي. لهذا السبب نجد أن الكثيرين، بل حتى أولئك الذين جعلهم استخدامهم للعقل يراكمون تجربة كبيرة، لديهم درجة معينة من الميزولوجيا، يعني كراهية العقل، ويجب عليهم فقط أن يعترفوا بذلك. في الواقع، وبعد تعداد كل المزايا التي يجنونها من وراء ذلك، لا أقصد فقط اكتشاف كل الفنون التي تكون البذخ العادي، بل حتى العلوم (والتي تبدو لهم وكأنها بذخا فكريا). إنهم يجدون في حقيقة الأمر، أنهم يفرضون على أنفسهم الكثير من المشقة، أكثر مما يجنون من السعادة؛ هكذا فبالنسبة لهته الفئة من الناس، الذين ينساقون وراء الغريزة الطبيعية، فالعقل لا يلعب عندهم سوى تأثير ضئيل على سلوكهم، إنهم يشعرون في نهاية المطاف بازدياد الرغبة، أكثر مما يشعرون بالاحتقار.

E Kant, *Fondements de la métaphysique* des mœurs, traduction Victor Delbos,céräs edition, 1994, p.64-65

Twitter: @ketab_n

III.9. الإنسانُ كائنٌ مركَّب

أبو علي بن محمد بن يعقوب مسكويه

إن الإنسان ذو فضيلة روحانية، يناسب بها الأرواح الطيبة التي تسمى ملائكة، وذو فضيلة جسمانية، يناسب بها الأنعام. و لأنه مركب منهما فهو بالخير الجسماني الذي يناسب به الأنعام مقيم في هذا العالم السفلي مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه. حتى إذا ظفر بهذه المرتبة على الكمال انتقل إلى العالم العلوي، وأقام فيه دائما سرمدا في صحبة الملائكة والأرواح الطيبة. وينبغي أن يفهم من قولنا العالم السفلي والعالم العلوي ما ذكرناه فيما تقدم. فإنا قد قلنا هناك أنا لسنا نعني بالعلوي المكان الأعلى في الحس، و لا بالعالم السفلي المكان الأسفل في الحس، بل كل محسوس فهو أسفل وإن كان محسوسا في المكان الأعلى. وكل معقول فهو أعلى وإن كان معقولا في المكان الأسفل، وينبغي أن يعلم أنه لا يحتاج في صحة الأرواح الطيبة المستغنية عن الأبدان إلى شيء من السعادات البدنية التي ذكرناها سوى سعادة النفس فقط، أعني المعقولات الأبدية التي هي الحكمة فقط.

فإذا مادام الإنسان إنسانا فلا تتم له السعادة إلا بتحصيل الحالين جميعا، وليس يحصلان على التمام إلا بالأشياء النافعة في الوصول إلى الحكمة الأبدية. فالسعيد إذن من الناس يكون في إحدى مرتبتين. إما في مرتبة الأشياء الجسمانية متعلقا بأحوالها السفلى سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الأمور الشريفة باحثا عنها مشتاقا إليها متحركا نحوها مغتبطا بها. وإما ان يكون في مرتبة الأشياء الروحانية متعلقا بأحوالها العليا سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الأمور البدنية معتبرا بها ناظرا في علامات القدرة الإلاهية ودلائل الحكمة البالغة مقتديا بها ناظما لها مفيضا للخيرات عليها سابقا لها نحو الأفضل، فالأفضل بحسب

Twitter: @ketab_n

قبولها وعلى نحو استطاعتها. وأي امرئ لم يحصل في إحدى هاتين المنزلتين فهو في رتبة الأنعام بل هو أضل...إن صاحب المرتبة الروحانية هو السعيد التام، وهو الذي توفر حظه من الحكمة، فهو مقيم بروحانيته بين الملأ الأعلى، منهم يستمد لطائف الحكمة، ويستنير بالنور الإلاهي، ويستزيد من فضائله بحسب عنايته بها وقلة عوائقه عنها. وبذلك يكون أبدا خاليا من الآلام والحسرات، التي لا يخلو صاحب المرتبة الأولى منها، ويكون مسرورا أبدا بذاته مغتبطا بحاله و بما يحصل له دائما من فيض نور الأمل، فليس يسر إلا بتلك الأحوال ولا يغتبط إلا بتلك المحاسن، ولا يهش إلا لإظهار تلك الحكمة بين أهلها و لا يرتاح إلا لمن ناسبه أو قاربه وأحب الاقتباس منه. وهذه المرتبة التي متى وصل إليها فقد وصل إلى آخر السعادات وأقصاها، وهو الذي لا يبالي بفراق الأحباب من أهل الدنيا، ولا يتحسر على ما يفوته من التنعم فيها.

مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، دار الكتب العلمية، 1981، ص. 69-70-71

III.10. وهمُ السعادَة

لوكيوس أنَّايوس سينيكا

كم هو صعب وخطير اصطياد الحيوانات المتوحشة، فحتى عندما نتمكن من اصطيادها، سيكون من العسير الحفاظ عليها، لأنها تفتك بأسيادها في أغلب الأحيان. هكذا وبالمثل، فأولئك الذين يستمتعون بالشهوات الكبرى، يفضي بهم الأمر إلى شقاء كبير، لأنهم ما أن يحصلوا عليها حتى تستولي عليهم؛ فالشخص العامي يبدو صغيرا وخاضعا لأسياد ينعتهم «بالسعداء»!، لأنهم حققوا شهواتهم بينما هي شهوات كبيرة جدا ولا حصر لها.

وليسمح لي بالتوقف قليلا عند هذه المقارنة. إن ذاك الذي يتوجه

Twitter: @ketab_n

لأماكن الحيوانات المتوحشة، معلقا آماله «على إيقاع هذه الحيوانات في فخاخه» وعلى «تطويق الكلاب لهذه الأماكن الرحبة»، من أجل تتبع خطورتهم، يهمل الكثير من المهام القيمة ويتخلى عن العديد من الواجبات؛ هكذا شأن من يتبع الشهوة، و يضحي بكل شيء من أجلها، بما في ذلك حريته. هذا هو الثمن الذي يؤديه لكي يشبع بطنه. إنه لا يشتري شهوته، بل يبيع نفسه لها.

قد يقول البعض، ما الذي يمنع إذن من الجمع بين الفضيلة والشهوة، وتمييز الخير الأسمى، عبر جعله شيئا نبيلا وممتعا في الوقت نفسه؟ لا يمكن أن توجد أبعاد أخرى للنبيل خارج النبيل ذاته، ذلك أن الخير الأسمى سيفقد كماله، إذا ما وجد بداخله ما لا يتطابق مع الأفضل. فحتى الفرح الذي تولده الفضيلة، رغم أنه خير، إلا أنه لا ينتمي للخير المطلق، ونفس الشيء بالنسبة للحبور و السكينة، رغم جمالية أصولهما؛ صحيح إنها عبارة عن خيرات، إلا أنها ليست ما يتم به الخير الأسمى، بل إنها نتائجه. فالذي يجمع بين الفضيلة والشهوة، دون أن يعتبرهما متساويتين، يقضي بحكم هشاشة إحداهما، على كل ما هو صارم في الأخرى، فيفرض العبودية على هذه الحرية الممانعة، خاصة إذا علمنا أن لا شيء ثمينا أكثر منها.

Sénéque, La Vie heureuse, arléa, 1995, p.47-48-49

III.11. معيقَات السعَادة

لوكيوس أنَّايوس سينيكا

لا أحد يمكنه أن يكون سعيدا، بدون سلامة الروح، ولا يمكنه أن ينعم بهذه السلامة إذا كان يطمع في جعل ما يمكن أن يؤذيه خيراً أسمى. فالسعيد إذا، هو ذاك الذي يكون حكمُه مستقيما؛ سعيد من يقنع بالخيرات التي ينعم بها في حاضره، مهما كانت، ويحب ما يمتلكه؛

Twitter: @ketab_n

سعيد ذاك الذي يكون عقله هو الذي يقرر تقدير مدى قيمة ما لديه!

إن أولئك الذين يعتقدون أن الخير الأسمى يكمن في الملذات، عليهم أن يتبينوا جيدا أية مكانة خسيسة وضعوه فيها. إنهم ينكرون إمكانية فصل الشهوة عن الفضيلة، ويؤكدون أن لا أحد يمكنه العيش باستقامة، بمعزل عن العيش في اللذة، ولا العيش في اللذة بمعزل عن العيش باستقامة. لا أرى كيف يمكن لهذه الميولات المتناقضة جدا، أن تمتزج وتتوحد في نفس الزوج.

ما هو المبرر من فضلكم، الذي يمنعنا من فصل الشهوة عن الفضيلة؟ على ما يبدو، إذا كان مبدأ الخير موجود داخل الفضيلة، فإن ما نحبه وما نرغب فيه هما أيضا متجذران داخل الفضيلة؟ لكن، إذا كانت كل من الشهوة والفضيلة ممتزجتين، فإننا لن نميز ما هو ممتع وغير مستقيم، وما هو عكس ذلك مستقيم، لكنه شاق ويتطلب أن نبحث عنه وسط الآلام.

لنضف كذلك أن الشهوة تقود إلى الحياة الأكثر دناءة، بينما الفضيلة لا تقبل بالحياة الذميمة، وأن بعض الناس إذا كانوا أشقياء، فذلك راجع ليس إلى غياب الشهوة، بل عكس ذلك فشقاؤهم سببه الشهوة ذاتها، وهذا شيء لن يحدث لو كانت الشهوة مرتبطة بالكاد بالفضيلة، هذه الأخيرة إذا لم تكن في الغالب مرفوقة بالكثير من الشهوات، فإنها ليست بعيدة كليا عنها.

Sénèque, La Vie heureuse, arléa, 1995, p.28-29-30

Twitter: @ketab_n

III.12. السَّعادَةُ والشَّجاعَة

آلان إميل أوغست شارتيه

يـمكن أن نقضي على أي سعادة بسبب الإرادة السيئة. هكذا فإن حكما مسبقا سلبيا بصدد كتاب، أو فرجة، أو نزهة، سيجعل تحقيق إرضاءنا شيئا صعبا. إن الضجر هو نوع من الحكم المسبق، الذي يتحدى كل أنواع التسليات. لنلاحظ أن الملذات ليس لها أية سلطة علينا، إذا لم نكن نحن مستعدين لتذوقها. حتى بالنسبة للذات المائدة، والتي وإن كان ليس لها علاقة وطيدة بالفكر، فإنه يتعين أن نوليها عناية مرهفة. فما بالك إذا تعلق الأمر بـملذات الفكر، فإنه يجب أن نرغب في تحصيلها، وسيكون من العبث أن ننتظر تحقيقها بدون بذل مجهود. فلا أحد يمكنه القول للعبة الشطرنج: «اعملي على تسليتي». بل إن تحقيق هذه المتعة رهين بوجود إرادة متواصلة، ممارسة ومحنكة. فحتى اللعب بالورق يفترض وجود إرادة مسبقة في تحقيق المتعة. بحيث يمكننا القول إن لا شيئ في العالم يمكن أن يروقنا من تلقاء ذاته. يجب أن نكابد الكثير من المعاناة لكي تروقنا الهندسة، أوالرسم، أوالموسيقى. وهذه المزاوجة بين المعاناة والمتعة، تتبين بوضوح من خلال الألعاب العنيفة. فمن الغرابة بمكان أن نجد أن العدائين، والمصارعين والملاكمين يجدون متعتهم في كل هذه المعاناة التي يتكبدونها؛ وهذا شيء لا شك فيه.

وإذا ما فكرنا في هذه المفارقة لدى الإنسان، فإننا لن نتمثل قط الإنسان السعيد باعتباره ذاك الإنسان الذي تأتي عنده تباعا كل أنواع السعادات؛ بل عكس ذلك سنجد أنه هو ذاك الذي يقف عن كثب، بالفعل وبالإصرار، على تحقيق السعادة من خلال التحلي بقوة فاعلة. وبهذا المعنى فإن أولئك الذين يتطرقون لموضوع السعادة، ليسوا خاطئين في كونهم يحتقرون اللذة، والتي هي بالفعل تؤدي بسرعة إلى الإشباع

Twitter: @ketab_n

والتقزز، إذا لم تكن وليدة منظور رفيع للفكر. وهذا ينطبق على نفس اللذة؛ فمثلا فإن أكلة جيدة نشعر بها أكثر من خلال الأفراح التي نتقاسمها مع الأصدقاء. وهذا المثال سيجعلنا نفهم أمثلة أخرى، أكثر أهمية، لكنها لا تتلاءم قط مع التحليل الذي يقدمه عامة الناس. من هنا أفهم أن الملذات في حاجة كثيرة إلى السعادة.

ومقابل ذلك، يبدو أن السعادة ليست في حاجة كثيرة للملذات، لأنها تحققها وتكونها بكل الوسائل المتاحة. يمكن أن نعطي مثالا نموذجيا، بأولئك الذين يجعلون هوايتهم هي تجميع شيء ما، لأن بواسطة التكوين والتوجيه الإرادي لحكمهم، يستطيعون خلق قيم جديدة، وإذا صح القول، اكتشاف مصادر جديدة للسعادة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه يوجد في العالم، وفي متناولنا، عدد هائل من الأشياء يمكن أن تمنحنا السعادة، إذا كانت لدينا الشجاعة في إرادة تحقيق ملذاتنا، عوض أن نكون راغبين فيها فقط.

Alain, *Minerve ou de la sagesse*, Paul Hartman éditeur, 1938, p.159-160

III.13. السعادةُ وعائقُ الشرطِ الإنسَاني

بْلِيزْ باسكال

عندما أفكر أحيانا في مختلف أنواع القلق والمصائب والآلام التي يتعرض لها الناس، في الحياة العامة، في الحرب، حيث ينجم عن ذلك العديد من الخصومات، والأهواء، والمشاريع الحزينة التي غالبا ما تكون سيئة، أكتشف أن مآسي الناس مصدرها شيء واحد، ألا وهو كونهم لا يعرفون سبيلا للبقاء في راحة داخل غرفة. إذا كان شخص ما لديه ما يكفيه ليعيش جيدا، وإذا كان يعرف كيف يستمتع بالبقاء في منزله، فإنه لن يخرج للذهاب إلى البحر، ولن يحط الرحال في أي مكان خارج المنزل...

Twitter: @ketab_n

لكن عندما فكرت مليا، بعد أن وضعت يدي على مصدر مآسينا، أردت أن أكتشف مبررا لذلك، فوجدت أن هناك فعلا مبررا يكمن في البؤس الطبيعي لشرطنا الإنساني، الضعيف والفاني والبئيس جدا، لدرجة أننا عندما نفكر مليا في كل ذاك، نجد أنه لا شيء يمكن أن يخفف عنا بهذا الصدد.

ومهما كانت الوضعية التي يمكن أن نتصورها، إذا جمعنا كل الخيرات التي يمكن أن نتوفر عليها، فإن الملك يبقى هو أجمل وظيفة يمكن أن يحتلها المرء؛ ومع ذلك، فمهما كانت الإشباعات التي يمكن أن يطالها، إذا كان محروما من التسلية، وإذا ما تركناه يتأمل و يقدر ما هو عليه من جاه، فإننا سنجد أن هذه البهجة الواهية لا تنفعه في شيء، ذلك أنه يقع بالضرورة ضحية الأطماع التي تهدده، وضحية الثورات التي قد تحدث ضده، وأخيرا ضحية الموت والأمراض، وهي أشياء لا مناص منها؛ بحيث إنه إذا كان محروما من التسلية، سيكون شقيا، بل أكثر شقاء من أدنى فرد في رعاياه، والذي يلعب ويتسلى كما يشاء.

لذا نقول إن اللعب، و تجاذب أطراف الحديث مع النساء، والحرب، والوظائف الكبيرة، هي أكثر الأشياء التي يطلبها الناس. هذا لا يدل على وجود السعادة حقا، ولا على أنه بإمكاننا أن نتصور أن الغبطة الحقيقية، تكمن في المال الذي يمكن أن نربحه في اللعب، أو من خلال لعب دور أرنب السباق الذي نقوم به: إننا لن نقبل ذلك حتى ولو عرض علينا. فليس هذا الاستعمال الهش والهادئ، والذي سيجعلنا نفكر في شرطنا الإنساني الشقي، هو ما نبحث عنه، وليست مخاطر الحرب، و لا مشقات الوظائف، هي التي تعوق تفكيرنا و تسليتنا، بل ما يعوق ذلك هو الإحساس بالهم.

Blaise Pascal, *Pensées*, editions Lattès, 1988, p.60-61

Twitter: @ketab_n

III.14. السعادةُ وهَاجِس الرَّغبَة

أرثور شوبنهاور

إننا نشعر بالألم، لكننا لا نشعر بغياب الألم؛ نشعر بهاجس مَّا، ولا نشعر بغياب الهاجس؛ نشعر بالخوف، وليس بالأمان. إننا نشعر باستمرار بالرغبة، مثلما نشعر بالجوع والعطش؛ ولكن هل نستطيع إشباع الرغبة، إذ ما يلبث أن يحدث لها مثلما يحدث لهذه القطع الصغيرة التي نتذوقها، ثم تكف عن أن تكون موجودة بالنسبة لحساسيتنا، ما إن نبتلعها، إننا نلاحظ بكل ألم غياب المتع والأفراح، ثم ما نلبث أن نندم عليها؛ عكس ذلك، فإننا لا نشعر مباشرة بزوال الألم، حتى عندما نتحرر منه بعد أن يكون قد هيمن علينا لمدة طويلة، ولكن كل ما نستطيع فعله هو التفكير في ذلك، لأننا نريد أن نفكر فيه، بواسطة هذه القدرة على التأمل. في الواقع، وحدهما الألم والحرمان يمكنهما أن يولدا انطباعا إيجابيا، ومن هنا فهما ينفضحان من تلقاء ذاتيهما. إن الهناء، هو عكس ذلك؟ ليس سوى نفي خالص.

هكذا فنحن لا نقدر الخيرات الثلاث الكبرى في الحياة: الصحة، الشباب والحرية، ما دمنا نمتلكها؛ ولكي نفهم قيمتها، يجب أن نفقدها. أن تكون حياتنا سعيدة، فذاك شيء لا ندركه إلا في اللحظة التي تعوض فيها هذه الأيام السعيدة، بأيام شقية. فكلما ازدادت المتع، إلا وانخفضت حدة تذوقها: إن اللذة التي تصبح عادة، لا نشعر بها كلذة. لكن وفي المقابل يكبر حجم ملكة الإحساس بالمعاناة؛ لأن زوال لذة معتادة تسبب في انطباع مؤلم. هكذا فالتملك يضاعف من حجم حاجاتنا، وفي الوقت نفسه، يضاعف من مدى القدرة على الإحساس بالألم باستمرار.

إن انسياب الساعات يكون أكثر سرعة، عندما تكون ساعات رغد،

Twitter: @ketab_n

لكنه يكون انسيابا بطيئا جدا عندما تكون ساعات قاسية؛ لأن الحزن، وليس اللذة، هو العنصر الواقعي الذي نلاحظ حضوره. كذلك فنحن نعي بالزمن في لحظات الضجر، وليس في اللحظات الرغدة. إن هاتين الواقعتين تدلان على أن الجزء الأكثر سعادة في وجودنا، هو ذاك الذي نشعر به أقل من الجزء الآخر؛ لهذا من الأفضل بالنسبة لنا أن لا نمتلكه. إن فرحا كبيرا وشديدا، لا يمكن إطلاقا أن نشعر به، إلا كنتيجة لحاجة سابقة؛ لأن ماذا عسى أن ينضاف إلى حالة الرضا الدائم على الذات، ما عدا قليل من المتعة أو بعض الإشباعات التافهة؟

Arthur Schopenhauer, *Le Monde comme volonté et comme représentation*, trad. A/Burdeau, ed. puf, p.1337

III.15. ليسَ الإنسانُ مَنْذورا للسعَادَة

سيدموند فرويد

يطمح الناس نحو السعادة، يريدون أن يصبحوا سعداء وأن يبقوا كذلك. لهذا المطمح وجهين، هدف إيجابي والآخر سلبي، فهو من جهة مطمح يريد أن يتحرر من الألم والكدر، ومن جهة ثانية، يريد أن يعيش إحساسات قوية متعلقة باللذة. فبالمعنى الضيق «للسعادة»، يمكن القول إنها لا تتعلق سوى بالجهة الثانية. وطبقا لهذا الانشطار الثنائي للأهداف المتوخاة، فإن نشاط الناس يطال اتجاهين اثنين، حسب ما إذا كان يبحث عن تحقيق هذا الهدف أو ذاك، سواء بشكل نرجح فيه كفة هذا الطرف أو ذاك، أو بشكل يلغي فيه طرف ما الطرف الآخر.

لنسجل هنا أن برنامج مبدأ اللذة فقط، هو الذي يحدد غائية الحياة. إن هذا المبدأ يهيمن على سير الجهاز النفسي منذ البداية؛ لا يمكننا الشك في الدور الذي يلعبه على مستوى تحديد الغائية، ومع ذلك فإن برنامجه لا يتوافق مع العالم، ومع الكون، بل لا يتوافق حتى مع عالمنا الصغير

Twitter: @ketab_n

كأفراد. على أية حال، فهو برنامج لا يتحقق، لأن كل العدد تتعارض معه؛ كان بودنا أن نقول إن عزم الإنسان كي يكون «سعيدا»، ليس واردا داخل تصميم «الخلق». فما نسميه سعادة، بالمعنى الضيق للكلمة، ينجم عن الإشباع الخاضع بالأحرى لحاجات بلغت أوج حدتها، وحسب طبيعة السعادة، فإنها ليست ممكنة إلا كظاهرة عرضية. فكل إصرار متعلق بحالة مرغوب فيها، تبعا لمبدأ اللذة، لا يعطي سوى إحساس براحة فاترة؛ إن عددنا توجد في شكل معين، بحيث لا يمكننا الاستمتاع بشدة إلا بما هو في تضاد، ولا نستمتع إلا قليلا بما هو قار.

هكذا إذن فمُمْكناتنا في تحقيق السعادة، هي سلفا محدودة بالقوانين التي نضعها. ثمة صُعوبات أقل في خوض غمار تجربة الشَّقَاء. إن المعاناة تهدّد من ثلاث جوانب، مصدرها من جهة جسدنا الخاص، المنذور إلى ضعف قواه، وإلى تلاشيه، بحيث أنه لا يمكنه الاستغناء عن الألم وعن القلق، كإشارتي تنبيه، ومن جهة ثانية مصدرها العالم الخارجي الذي يمكن أن يهاجمنا مهاجمة عنيفة بواسطة قوى فائقة، قاسية ومدمرة، وأخيرا مصدرها العلاقات مع الناس الآخرين. إن المعاناة الناتجة عن هذا المصدر نشعر بها ربما بشكل أكثر ألما من غيرها؛ إننا ميالون لاعتبارها بمثابة توابل زائدة، حتى وإن كانت على مستوى المصير الإنساني، ليست أقل ضرورة من الألم النابع عن مصدر آخر.

Sigmund Freud, *Le malaise dans la culture*, trad p. cotet, R. Lainé, J. Stute-Cadiot, cll Quadrige, 1929, p.18-19

Twitter: @ketab_n

III .16. الشهوةُ رمزُ السعَادة

فريدريك نيتشه

الشهوة هي للمتقشفين المتقمصين الصوف الخشن، والمحقرين للجسد الحافر والمعذب في وقت واحد، وهي للمستغرقين في بحرين: العالم الثاني لعنة هذا العالم الأول، لأنها تهاجم أهل الضلال فتقصيهم وتطردهم طردا.

الشهوة للئيم نار يحترق فيها اللؤماء، نار بطيئة الإحراق يتصاعد منها أشد الروائح الكريهة.

الشهوة للقلوب الحرة عاطفة بريئة حرة، فهي سعادة الجنة الأرضية وعرفان المستقبل جميل الحاضر.

الشهوة سم حلو المذاق لكل من عراه الذبول غير أنها شراب القوة وخمرة الخمر للأسياد يكرعونها بثمل الخاشعين.

الشهوة أعظم لذة ترمز إلى السعادة والأمل الأسمى، لأن في الحياة أشياء كثيرة حق لها أن تتمتع بالاقتران بل بأكثر منه، فهنالك أشياء بعدت شقة الانفصال بينها بأكثر من انفراجها بين الرجل والمرأة، ومن ترى تمكن يوما من أن يدرك حقيقة تباعد أحدهما عن الآخر ومدى الشقة بينهما؟

الشهوة....سأضع حصونا بين أفكاري، وأمتنع عن الكلام كيلا يجتاح جبيني الخنازير والمتهوسون.

أما الطموح إلى التحكم، فهو سوط يلهب أشد القلوب قسوة وعذاب استشهاد، يعد للطغاة لهبا من محارق الأحياء. إن الطموح إلى التحكم لجام قاس، ترضى به أشد الشعوب غرورا، فهو المداعب للفضائل الحائرة الممتطية صهوات الخيلاء.

إن الطموح إلى التحكم زلزال هدام لكل متداع قديم، فهو الثائر

Twitter: @ketab_n

المحطم للقبور المكلسة يزمجر وينزل العقاب، وهو نبرة الاستفهام تتعالى تجاه كل جواب مبتسر. إن الطموح إلى التحكم نظرات تحني هام الرجال فتجعلهم يزحفون زحفا، وتستعبدهم وتهوي بهم إلى دركة أحط من دركة الخنزير والأفعى إلى أن يأتيهم الاحتقار بالسكون.

ما الطموح إلى الحكم إلا المعلم المخرف، يلقن الازدراء الأعظم صارخا بوجه المدن والممالك: افسحي لي المجال، ولا يزال يهتف حتى تناديه قائلة: إنني أفسح لك مجالا.

إن الطموح إلى الحكم يتعالى أيضا نحو الأتقياء و المنعزلين، ليستهويهم فيذهب إلى ذرى الاعتزاز بالنفس، كأنه غرام مشتعل يرسم في الخيال المسرات الحمراء الساحرة. ومن له أن يدعو هذه الشهوة للتحكم طموحا، وما هي إلا اندفاع من الأعالي إلى الأعماق طبقا للقوة، وما أرى في مثل هذا الانحدار شيئا من حرارة الحمى ولا من أعراض الأدواء.

فريديريك نيتشه: **هكذا تكلم زارادشت**، ترجمة فيليكس فارس، منشورات المكتبة الأهلية- بيروت، ص. 217-218

III .17. سعادةُ التأملاَت الشارِدَة

غاستون باشلار

(...) ليست هناك عيشة هنية دون تأملات شاردة. ولا تأملات شاردة دون عيشة هنية. وقبلا، بالتأملات الشاردة نكتشف أن الكائن هو منفعة بذاته. يقول فيلسوف: الكائن هو قيمة. هل يجب أن نمنع من هذا التوصيف الموجز للتأملات الشاردة بعبارة سعادة، بذريعة أن السعادة هي سيكولوجيا حالة تافهة، فقيرة، سخيفة، بذريعة أيضا أن كلمة سعادة وحدها تقضي على كل تحليل، تغرق النفسية الإنسانية في الابتذال؟ يقدم لنا الشعراء فوارق سعادة كونية، فوارق عديدة ومتنوعة

Twitter: @ketab_n

جدا إلى درجة تجعلنا نعتبر أن التأملات تبدأ مع الفارقة. وهكذا يتلقى حالم التأملات انطباع «التمييزية». ومع الفارقة، ندرك أن الحالم يعرف الكوجيتو عند نشأته.

الكوجيتو الذي يفكر يمكن أن يتيه، ينتظر، وكوجيتو التأملات يتعلق مباشرة بموضوعه، بصورته. إن المسافة بين الذات التي تتخيل والصورة المتخيلة هي الأقصى بين كل المسافات. تعيش التأملات الشاردة من فائدتها الأولى. إن ذات التأملات هي مندهشة لتلقي الصورة، متعجبة، مسحورة، متيقظة. الحالمون الكبار هم معلمو الحس المتلألئ. إن نوعا من الكوجيتو المتعدد يتجدد في عالم القصيدة المغلق. يجب بالطبع أن نتوفر على قوى وعي أخرى للسيطرة على مجمل القصيدة. ولكن قبلا، نجد في بريق صورة لمعانا. وكم من التأملات المنكبتة تأتي لتنقذ الحالة الحالمة. نوعان من التأملات يصلحان كلاهما: أن ننساب في التتابع السعيد للصور، أو أن نعيش في مركز صورة مع إحساسنا بإشعاعها. ونضمن آنذاك كوجيتو في نفس الحالم الذي يعيش في وسط صورة مشعة.

غاستون باشلار، **شاعرية أحلام اليقظة**، ترجمة جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1991، ص. 132-133

III.18. المَنْظُور الرّأْسمالي للسَّعادة: المتعَةُ والتَرَاكُمْ

كارل ماركس

لأن الرأسمالي شخص متعصب للتراكم، فإنه يرغم الناس، بدون رحمة وبدون توقف، على الإنتاج من أجل الإنتاج، ويدفعهم هكذا، بشكل غريزي، نحو تطوير القوى المنتجة والشروط المادية التي وحدها يمكنها أن تشكل قاعدة مجتمع جديد ورفيع(...) أن نراكم يعني أن نغزو عالم الثروة الاجتماعية، وأن نمدد هيمنتها الشخصية، وأن نرفع من عدد أتباعها، كما يعني كذلك أن نضحي من أجل تحقيق طموح نهم. لكن

Twitter: @ketab_n

الخطيئة الأصلية تطال كل مكان وتفسد كل شيء. شريطة أن يتطور نمط الإنتاج الرأسمالي، ويتطور معه التراكم والثروة. هكذا فالرأسمالي يكف عن أن يكون مجرد تجسيد للرأسمال. بل إنه يشعر «بانفعال إنساني» متعلق بآدميته، وغريزته، فيصبح متحضرا جدا، وشكاك جدا، إلى درجة أنه يتجرأ على الاستهزاء من كل تقشف مبالغ فيه، مثل حكم مسبق يحمله شخص يكتنز المال، بينما واقع الحال قد تجاوزه. فإذا كان الرأسمالي القديم يستهجن كل إنفاق فردي لا يخضع للصرامة، ولا يرى في ذلك سوى تعد على التراكم، فإن الرأسمالي الحديث قادر على أن يرى في رَسْمَلَةِ فَائض القِيمة عائقا أمام إشباع رغباته. يرى الأول أن الاستهلاك، يعني «الامتناع» عن التراكم؛ ويرى الثاني أن التراكم، يعني «التخلي» عن المتعة. «ثمة روحان، مع الأسف! تسكنان قلبي، وكل واحدة تريد الطلاق من الأخرى.» لكن تقدم الإنتاج لا يخلق فقط نمطا جديدا من المتع: بل إنه يفتح بفضل المضاربات المالية والقروض، ألف مصدر للإثراء المفاجئ. و وصولا إلى درجة معينة في التطور، يفرض الإنتاج على الرأسمالي الشقي تبذيرا متعارف عليه. إنه في الوقت نفسه عبارة عن تباهي بالثروة، وعبارة عن وسيلة للقرض. يصبح البذخ ضرورة تفرضها المهنة، فيدخل ضمن المصاريف المتعلقة بتجسيد الرأسمال. لا يقف الأمر عند هذا الحد: فالرأسمالي لا يغتني مثل الفلاح والحرفي المستقلين، اعتمادا على عملهما وبساطتهما الشخصية. بل إنه يغتني بسبب العمل المجاني الذي يقوم به الغير، ويستغله هو، وبدفعه لعماله نحو التخلي عن كل متع الحياة. ورغم أن تبذيره لا يتخذ ذاك الشكل المظهري الذي كان يتميز به الأسياد الفيوداليين، ورغم أنه يجد صعوبة في إخفاء الشح المعيب الذي يتميز به الفكر المهووس بالحساب الأكثر حقارة، فإنه يكبر تقريبا كلما نجح في خلق التراكم، بدون أن يكون تراكمه بالضرورة مقيدا بإنفاقه، وبدون أن يكون إنفاقه مقيدا بتراكمه.

Twitter: @ketab_n

ومع ذلك هاهنا يعج داخله صراع على منوال فوست، بين الميل نحو التراكم والميل نحو المتعة.

Karl marx : Le Capital, in Denis Huisman, Marie-Agnès Mafray, *les pages les plus célébres de la philosophie occidentale*, Perrin, 2000, p. 409-410

III.19. السعادةُ نموذجٌ خيالي أمثل

إيمانويل كانط

لعل مفهوم السعادة مفهوما غير محدد، لذلك فرغم أن كل إنسان يرغب في أن يبلغ السعادة، لا أحد يستطيع أبدا أن يحدد بدقة وبشكل منسجم، ما يرغب فيه وما يريده حقا. والسبب في ذلك يرجع إلى كون كل العناصر المكونة لمفهوم السعادة، هي في مجموعها عناصر إمبريقية، يعني أنه يجب أن تستلهم من التجربة؛ وبالتالي فإن فكرة السعادة ضرورية، باعتبارها كلا مطلقا، وحدا أقصى من تحقيق راحة البال في الوضعية التي أنا عليها في الحاضر، وفي كل شروطي مستقبلا. و الحالة هذه من المستحيل بالنسبة لإنسان فان، حتى وإن كان ثاقب الفكر، وقوي جدا، أن يكون مفهوما محددا حول ما يريده حقا من السعادة. هل يريد الثروة؟ كم جلب على نفسه من هواجس، من ميولات، ومن فخاخ! هل يريد معارف كثيرة وتنويرا أكثر؟ ربما لن ينجح ذلك، سوى في تمكينه من رؤية أكثر اختراقا، تجعله يتمثل بشكل مرعب جدا كل الشرور التي ظلت متوارية لمدة طويلة، عن بصره، بينما هي شيء لامناص منه، أم لنقل إنه مثقل بحاجات كثيرة، علاوة على رغباته التي يجد صعوبة كبيرة في إشباعها. هل يريد حياة طويلة الأمد؟ من يضمن له أنها لن تكون عبارة عن معاناة طويلة الأمد؟ هل يريد على الأقل الصحة؟ كم من مرة بلغ فيها توعك الجسد أقصاه، حيث يقضي على هذه الصحة التامة ! باختصار، إنه عاجز عن تحديد بكل يقين، وانطلاقا

Twitter: @ketab_n

من مبادئ معينة، ما يجعله حقا سعيدا: لكي يتمكن من ذلك، عليه أن يمتلك علما بكل شيء(...)

ينتج عن ذلك، أنه يتعين على أوامر الحصافة أن تفرض نفسها، حيث يتم تمثل الأفعال بطريقة موضوعية، وكأنها ضرورية من الناحية العملية، ويتعين علينا أن نعتبرها بمثابة نصائح، أكثر مما هي أوامر العقل؛ إن مشكلة تحديد بطريقة أكيدة وعامة، ما هو الفعل الذي يمكن أن يضمن السعادة بالنسبة لكائن عاقل، هو مشكل لا حل له إطلاقا؛ وبالتالي ليس هناك بهذا الصدد، أي أمر يمكن أن يُملي علينا، بالمعنى الدقيق للكلمة، ما يجب عمله لكي نكون سعداء، لأن السعادة نموذج مثالي، من وحي الخيال وليس العقل، إنه نموذج مؤسس فقط على مبادئ إمبريقية، بحيث نأمل عبثا في أن تسعفنا هذه المبادئ في تحديد الفعل، الذي من خلاله سنصل في الواقع إلى سلسلة من النتائج، في كليتها.

E.Kant, *Fondements de la métapysique des mœurs*, trd, Delbos,ed,cérès, 1994, p.98-99

III.20. ماذا لو نسكنُ في الرغبة دون أن تَحترقَ؟

روجيه مونييه

(...) لسنا إلا كلاما، لكن شيئاً ما يسكننا، نحن أنفسنا.

لا تعرف قطرةُ الماء أنها قطرة لأنها في البحر. لكنها، هي القطرة، لا تعرفُ كذلك البحر.

ما لم يُدْرك، ما هو خارج الإدراك، يبقى في الواقع خارجاً، محروما مثلنا نحن الذين لا نقدر أن ندركَه.

ثمة نشيد لكل ما يُبيد، مجروح، ينحدر أو يمضي. ربما لا نشيّد، بالمعنى الدقيق، إلا هنا.

كل كائن يهوي في الألم، مهما كان عاديا في الآلام العادية، يصبح

Twitter: @ketab_n

كبيرا. ذلك أنه هوى.

نقصُ المكان الذي نتوقف فيه هو الذي يجعلنا نمشي. نقصُ المعرفة هو الذي يجعلنا نفكرُ ونتكلمُ ونكتبُ.

ألن يكون السلام و الصمت إلا قفا ما الموت إلا وجهه؟

ليس وجود الله كوجود العالم. لا شك. لكن، كيف يوجد العالم إذن؟

الريحُ الليلية التي ترتعش بين الأوراق هي أخرى غير الريح. كأنها ماء الليل.

لا نعرف ولادتنا، كما أننا لا نعرف موتنا. ماذا نقدر أن نعرف بينهما، حقا؟

ما نُحبه في الحقيقة ليس هو الحقيقة، بل هو أن تكون الحقيقة

النسيان يحيط بالمنسي ويحتضنه بشكل أكثر أمانا من الذاكرة.

لا يلتقي الماء بالماء إلا لكي يتمازجا.

الريح ينقصها الهواء، والماء عطشان.

لا نقدر أن نعرف ولا نتصور البداية المطلقة. لا نعرف، بتشوش لكن بقوة، إلا النهاية.

(...) نحو ماذا يجري السقوط اللانهائي؟ نحو العالي أو نحو المنخفض؟

حين تكون النهاية بلا نهاية، لا نعرف أننا نسقط.

لا يعرف الموتى الموت، مثلنا نحن الأحياء لا نعرف الحياة، لأننا مجرد أحياء.

تضيع الانهزامات كلها في الموت وتهدأ. أما الانتصارات، فلا.

تبقى الروح بعد الموت، لكنها لا تحيا. كانت تنتظر سعادتها.

في كل ما يمضي، الصحة، العلاقات، الحياة، يجيء، حين يمضي، شيء ما.

Twitter: @ketab_n

الشقاء يجعل اللامرئي الأليم مرئيا.

نبحث عما يدفئ القلب المسكين. بشراهة نبحث، ونجد، برحمة نجد.

النهائيُ لا يمكن فهمُه دون رعب. الأفضل ألا يكون هناك شيء نهائي.

كثير مما أقوله يجيئني من مكان مجهول، وبدوري، أضعه في ما ليس إنسانيا.

الجنة ضائعة. لكن ربما لم يضع ما سبقها.

من تخدم؟ لا أعرف. لكن نعم، أخدم سيدا أخرس ممحُواً.

الفكرة التي تنقذ لا تنتشر. إن انتشرت تبطل أن تكون الفكرة التي تنقذ.

بلى، كل شيء باطل، لكن لم هذه الحماسة كلها لقول ذلك؟

إن كنت قدرت أن أعلمكم، فلأنه لن يكون عندي شيء أعلمه. إن كنت قدرت أن أقنعكم، فلأنكم لم تفهموا. لا أقدر إلا أن أربحكم.

لكلٍ منا هاوية لكنه لا يسقط فيها.

في الليل الذي خيم تقريبا، تبدو شجرة الكرز المزهرة، ثابتة، غير واقعية، كحارس أبيض.

لا تصغوا إلي مثلما تصغون أحيانا إلى المطر والريح.

روجيه مونييه ، مجلة **مواقف** 54، 1988، ص.61-62-63

ترجمة أدونيس

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

VI. السَّعادةُ بين الفردِ والمدينَة

1.VI. العِلمُ والسَّعادة

أو نصر الفارابي

والمدينة الفاضلة تُضادُّها المدينة الجاهلية، والمدينة الفاسقة، والمدينة المتبدلة، والمدينة الضالة. ويضادها أيضا من أفراد الناس نوائب المدن.

1. والمدينة الجاهلية هي التي لم يعرف أهلها السعادة ولا خطرت ببالهم، أن أرشدوا إليها فلم يفهموها ولم يعتقوها، وإنما عرفوا من الخيرات بعض هذه التي هي مظنونة في الظاهر أنها خيرات من التي تظن أنها هي الغايات في الحياة وهي سلامة الأبدان واليسار والتمتع باللذات، وأن يكون مخلى هواه وأن يكون مكرما ومعظما، فكل واحد من هذه سعادة عند أهل الجاهلية. والسعادة العظمى الكاملة هي اجتماع هذه كلها. وأضدادها هي الشقاء، وهي آفات الأبدان والفقر وأن لا يتمتع باللذات، وأن لا يكون مخلى هواه وأن لا يكون مكرما...

2. وأما المدينة الفاسقة، وهي التي آراؤها الآراء الفاضلة، وهي التي تعلم السعادة والله عز وجل والثواني والعقل الفعال، وكل شيء سبيله أن يعلمه أهل المدينة الفاضلة ويعتقدونها، ولكن تكون أفعال أهلها أفعال أهل المدن الجاهلية.

3. والمدينة المتبدلة، فهي التي كانت آراؤها وأفعالها في القديم آراء المدينة الفاضلة وأفعالها، غير أنها تبدلت فدخلت فيها آراء غير تلك، واستحالت أفعالها إلى غير تلك.

4. والمدينة الضالة، هي التي تظن بعد حياتها هذه السعادة، ولكن

Twitter: @ketab_n

غيرت هذه، وتعتقد في الله عز وجل وفي الثواني وفي العقل الفعال آراء فاسدة لا يصلح عليها حتى ولا إن أخذت على أنها تمثيلات وتخيلات لها، ويكون رئيسها الأول ممن أوهم أنها يوحى إليه من غير أن يكون كذلك، ويكون قد استعمل في ذلك التمويهات والمخادعات والغرور.

... وأهل المدينة الفاضلة لهم أشياء مشتركة يعلمونها ويفعلونها. وأشياء أخر من علم وعمل يخص كل رتبة وكل واحد منهم. إنما يصير كل واحد في حد السعادة بهذين، أعني بالمشترك الذي له ولغيره معا، وبالذي يخص أهل المرتبة التي هو منها. فإذا فعل ذلك كل واحد منهم، أكسبته أفعاله تلك، هيئة نفسانية جيدة فاضلة، وكلما داوم عليها أكثر، صارت هيئته تلك أقوى وأفضل، وتزايدت قوتها وفضيلتها... وتلك حال الأفعال التي ينال بها السعادة. فإنها كلما زيدت منها وتكررت وواظب الإنسان عليها صيرت النفس التي شأنها أن تسعد أقوى وأفضل وأكمل إلى أن تصير من حد الكمال إلى أن تستغني عن المادة، فتحصل متبرئة منها، فلا تتلف بتلف المادة، ولا إذا بقيت احتاجت إلى المادة.

الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، سراس للنشر، 1994، ص. 115-116-117-118

VI.2. سعادةُ الإنسانِ ككائنٍ مدنيٍّ

أرسطو

ثمة عدد من الغايات، نبحث عن تحقيق بعضها، ليس في ذاتها، ولكن لتحقيق غايات أخرى، مثلا المال، وعموما كل الوسائل، من البديهي أن الغايات ليست كلها غايات تامة. لكن الخير الأسمى هو عبارة عن غاية تامة، إلى حد ما. علما بأن الغاية الوحيدة والتامة مطلقا هي ما نبحث عنه لكي نكون سعداء. وإذا كانت هذه الغايات كثيرة، فإننا نقصد هنا الغاية التي تكون أكثر اكتمالا من الغايات الأخرى. لذا نؤكد أن ما نبحث عنه لذاته، هو أكثر اكتمالا من ذاك الذي نبحث عنه

Twitter: @ketab_n

من أجل غاية أخرى؛ فالخير الذي نختاره دائما إلا لكونه يؤدي إلى تحقيق خير آخر، ليس مرغوبا فيه بما فيه الكفاية، إنه مثل باقي الخيرات التي ننظر إليها باعتبارها وسائل وغايات في الوقت نفسه.

إننا نبحث عن السعادة دائما، لذاتها، وليس من أجل غاية أخرى. فبالنسبة لأنواع الشرف، واللذة، والتفكير، وغيرها من الأشياء القيمة، فنحن لا نكتفي بالبحث عن تحقيقها في ذاتها- لأنه حتى ولو كانت هي القصد النهائي، فإننا سنريد المزيد منها- بل نبحث عنها من أجل بلوغ السعادة، لأننا نتصور أن بواسطتها فقط يمكن بلوغها. لكن السعادة ليست مرغوبة من طرف أي شخص، باعتبارها تحقيقا لتلك الأشياء التي ذكرناها، ولا من أجل شيء آخر خارج عنها. والحالة هذه، من البديهي أن الطابع نابع من كونها تكتفي بذاتها كليا.

في الواقع، إن الخير الأسمى، حسب الرأي المتعارف عليه، يكتفي بذاته. وعندما نقول ذلك، فإننا نعني أنه لا ينطبق فقط على الفرد وحده، باعتباره يعيش حياة منعزلة، بل إنه يطال أيضا الآباء، الأبناء، وفي كلمة واحدة، الأصدقاء و المواطنين، مادام أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه.

(...) هذا إذن هو الطابع المميز للسعادة؛ إنها ما يكون من الأفضل مرغوبا فيه بالنسبة للجميع، ودون أن تضاف إليه عناصر أخرى؛ وفي الحالة المعاكسة، فمن البديهي أن أدنى خير سيصبح مرغوبا فيه أكثر. لأن الخير المضاف يحقق وفرة، وكلما كان الخير أكبر، كلما أصبح مرغوبا فيه أكثر. وبالتالي، وكتعريف عام، نقول إن السعادة تامة، تكتفي بذاتها، مادامت هي غاية نشاطنا.

Aristote, Ethique de Nicomaque, trad Frad par j. voilquin, ed. GF Flammarion, 1965 p.27-28

Twitter: @ketab_n

VI.3. مراتبُ الفضَائل

أبو علي بن محمد بن يعقوب مسكويه

أول رتب الفضائل تسمى سعادة، وهي أن يصرف الإنسان إرادته ومحاولاته إلى مصالحه في العالم المحسوسة، من أمور النفس والبدن، وما كان من الأحوال متصلا بهما ومشاركا لهما من الأمور النفسانية، ويكون تصرفه في الأحوال المحسوسة تصرفا لا يخرج به عن الاعتدال الملائم لأحواله الحسية. وهذه حال قد يتلبس فيها الانسان بالأهواء والشهوات، إلا أن ذلك بقدر معتدل غير مفرط، وهو إلى ما ينبغي أقرب منه إلى ما لا يسيغه، وذلك أنه يجري أمره نحو صواب التدبير المتوسط في كل فضيلة ولا يخرج به عن تقدير الفكر، وإن لابس الأمور المحسوسة وتصرف فيها.

ثم الرتبة الثانية، وهي التي يصرف فيها إرادته ومحاولاته إلى الأمر الأفضل من صلاح النفس والبدن من غير أن يتلبس مع ذلك بشيء من الأهواء والشهوات، ولا يكترث بشيء من النفسيات المحسوسة إلا بما تدعوه إليه الضرورة....

وآخر المراتب في الفضيلة أن تكون أفعال الإنسان كلها أفعال إلهية، وهذه الأفعال هي خير محض. والفعل إذا كان خيرا محضا فليس يفعله فاعله من أجل شيء آخر غير الفعل نفسه. وذلك أن الخير المحض هو غاية متوخاة لذاتها، أي هو الأمر المطلوب المقصود لذاته. والأمر الذي هو غاية في نهاية النفاسة ليس يكون من أجل شيء آخر. فأفعال الإنسان إذا صارت كلها إلهية، فهي كلها إنما تصدر عن لبه وذاته الحقيقية، التي هي عقله الالاهي، الذي هو ذاته بالحقيقة...

مسكويه: **تهذيب الأخلاق**، دار الكتب العلمية، 1981، ص. 72-73-74

Twitter: @ketab_n

4.VI. الفاضلُ السّعيد

أبو علي بن محمد بن يعقوب مسكويه

إن من عنى ببعض القوى التي ذكرناها دون بعض، أوتعمد لإصلاحها في وقت دون وقت لم تحصل له السعادة. وكذلك يكون حال الرجل في تدبير منزله، إذا عنى ببعض أجزائه دون بعض أو في وقت دون وقت فإنه لا يكون مدبر منزل. وكذلك حال مدبر المدينة، إذا خص بنظره طائفة دون طائفة، أو وقتا دون وقت، لا يستحق اسم الرياسة على الإطلاق...

ولما كانت السيرة ثلاثة، لأنها تنقسم بانقسام الغايات الثلاثة التي يقصدها الناس. أعني سيرة اللذة وسيرة الكرامة، وسيرة الحكمة، وكانت سيرة الحكمة أشرفها وأتمها، وكانت فضائل النفس كثيرة، وجب أن يفضل الإنسان بأفضلها ويشرف بأشرفها. فسيرة الأفاضل السعداء سيرة لذيذة بنفسها، لأن أفعالهم أبدا مختارة وممدوحة، وكل إنسان يلتذ بما هو محبوب عنده. يلتذ بالعادل، أو يلتذ بحكمة الحكيم. والأفعال الفاضلة والغايات التي ينتهي إليها بالفضائل، لذيذة محبوبة فالسعادة ألذ من كل شيء...

وينبغي أن يعلم أن السعيد الذي ذكرنا حاله، مادام حيا تحت هذا الفلك الدائر بكواكبه ودرجاته ومطالع سعوده ونحوسه، يرد عليه من النكبات والنوائب وأنواع المحن والمصائب ما يرد على غيره؟. إلا أنه لا يذعر منها ولا يلحقه ما يلحق غيره من المشقة في احتمالها، لأنه غير مستعد لسرعة الانفصال منها بعادة الهلع والجزع والأحزان، ولا قابل أثر الهموم والأحزان بالأحوال العارضة. وإن أصابه من هذه الآلام شيء فهو يقدر على ضبط نفسه كيلا تنقله عن السعادة إلى ضدها بل لا تخرجه عن حد السعادة البتة.

مسكويه: **تهذيب الأخلاق**، دار الكتب العلمية، 1981، ص. 78-79-80

Twitter: @ketab_n

VI .5. السعادةُ و واجبُ الفَرد

إيمانويل كانط

لعل تحقيق السعادة واجبٌ على كل إنسان تجاه نفسه (على الأقل بطريقة غير مباشرة)؛ فإذا كان المرء غير سعيد بما هو عليه، بحيث يعيش تحت ضغط العديد من الهموم ووسط رغبات غير مشبعة، فيصبح سائغة لمخالفة واجباته. لكن هنا، وبغض النظر عن الواجب، كل الناس هم من تلقاء أنفسهم ميالون للسعادة، باعتبارها الشيء الأكثر قوة وحميمية، لأن في فكرة السعادة بالضبط، تتحد كل أنواع الميولات في شكل ميول واحد: الميل نحو السعادة. إن القاعدة المتحكمة في السعادة، تتخذ في الغالب طابعا خاصا، بحيث تلحق ضررا كبيرا ببعض الميولات، و مع ذلك فالإنسان لا يمكنه أن يكون مفهوما محددا وأكيدا عن هذا القدر من الإشباع المخصص لكل الميولات، والذي يسميه السعادة.

هكذا لا ينبغي أن نتفاجأ، إذا ما وجدنا أن مَيْلاً واحدا ما، محددا حسب ما يطمح إليه، وحسب الوقت الذي يمكن أن يشبع فيه، يمكن أن ينتصر على فكرة مترددة، مثل شخص متذوق لطعم ما، بحيث يفضل أن يتذوق ما يطيب له، حتى وإن كان سيعاني بعد ذلك، لأن بالنسبة له، على الأقل في هذا الظرف، وعلى أمل خادع في تحقيق السعادة التي يجب أن تتجلى في الصحة، لم يحرم نفسه من متعة اللحظة الحاضرة. ولكن حتى في هذه الحالة، وإذا كان الميل الكوني نحو السعادة لا يحدد إرادته، وإذا كانت الصحة، على الأقل النسبة إليه، ليست شيئا أساسيا يتعين عليه إدخاله ضمن حساباته. إن ما يبقى قائما هنا، وفي جميع الحالات، هو هذا القانون، الذي يوجهه كي يعمل على تحقيق سعادته، ليس باعتباره ميلا طبيعيا، بل باعتباره واجباً، هنا فقط يمتلك سلوكه قيمة أخلاقية حقيقية.

E Kant, *Fondements de la métaphysique des mœurs*, traduction Victor Delbos,céräs edition, 1994, p.69-70

Twitter: @ketab_n

VI.6. أَصْنَافُ السُعداء

أبو علي بن محمد بن يعقوب مسكويه

أصناف السعداء من الناس أربعة، وهم موجودون بالتصفح والحس. وذلك أنا نجد من الناس من هو خير فاضل من مبدأ تكوينه، نرى فيه النجابة طفلا ونتفرس فيه الفلاحة ناشئا بأن يكون حيا كريم الخيم يؤثر مجالس الأخيار، ومؤانسة الفضلاء، وينفر من أضدادهم. وليس يكون بذلك إلا بعناية تلحقه من أول مولده كما قلناه.

ونجد أيضا من لا يكون بهذه الصفة من مبدأ تكوينه، بل يكون كسائر الصبيان، إلا أنه يسعى ويجتهد ويطلب الحق إذا رأى اختلاف الناس فيه، ولا يزال كذلك حتى يبلغ مرتبة الحكماء، أعني أن يصير علمه صحيحا وعمله صوابا. وليس يبلغ هذه الدرجة إلا بالتفلسف واطراح العصبيات وسائر ما حذرنا منه.

ونجد أيضا من يوجد بهذه السيرة أخذا على الإكراه، إما بالتأديب الشرعي، وإما بالتعليم الحكمي. ومعلوم أن المطلوب هو القسم الثاني، إذا كانت الأقسام الباقية هي من خارج ولا يمكن أن تطلب، أعني أن من يتفق له في أصل مولده السعادة، ومن يكره عليها، ليس من أقسام الطالب المجتهد، وتبين أيضا مقام الطالب المجتهد ومنزلته من السعادة التامة الحقيقية، وأنه وجد من بين سائر الطبقات هو السعيد الكامل المقرب إلى الله عز وجل، المحب المطيع المستحق خلته ومحبته.

مسكويه: **تهذيب الأخلاق**، دار الكتب العلمية، 1981، ص. 144-145

Twitter: @ketab_n

VI.7. الواجبُ عَلَى الحَاكم

أبو علي بن محمد بن يعقوب مسكويه

إن الشوق إلى المعارف والعلوم ربما ساق الإنسان على منهج قويم وقصد صحيح حتى ينتهي إلى غاية كماله وهي سعادته التامة. وقلما يتفق ذلك وربما اعوج به عن السمت والسنن وذلك لأسباب كثيرة يطول ذكرها...وهذا الأدب الحق الذي يؤدينا إلى غايتنا يجب أن تلحظ فيه المبدأ الذي يجري مجرى الغاية حتى إذا لحظت الغاية تدرج منها إلى الأمور الطبيعية على طريق التحليل ثم يبتدئ من أسفل على طريق التركيب فيسلك فيها إلى أن ينتهي إلى الغاية التي لحظت أولا. وهذا المعنى هو الذي أحوجنا في مبدأ هذا الكتاب وفي فصول آخر منه أن نذكر أشياء عالية لا تليق بهذه الصناعة ليتشوق إليها من يستحقها. وليس يمكن الإنسان أن يشتاق إلى ما لا يعرفه البتة. فإذا لحظها من فيه قبول لها وعناية بها عرفها بعض المعرفة فتشوقها وسعى نحوها واحتمل التعب والنصب فيها.ينبغي أن يعلم أن كل إنسان معد نحو فضيلة ما فهو أقرب إليها وبالوصول إليها أحرى. ولذلك لا تصير سعادة الواحد من الناس غير سعادة الآخر إلا من اتفق له نفس صافية وطبيعة فائقة فينتهي إلى غايات الأمور وإلى غاية غاياتها أعني السعادة القصوى التي لا سعادة بعدها.

ولأجل ذلك يجب على مدير المدن أن يسوق كل إنسان نحو سعادته التي تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم بقسمين : أحدهما في تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية. والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والأعمال الحسية. وإذا سددهم نحو السعادة الفكرية بدأبهم من الغاية الخيرة على طريق التحليل ووقف بهم عند القوى التي

Twitter: @ketab_n

ذكرناها. وإذا سددهم نحو السعادة العملية بدأ بهم من عند هذه القوى وانتهى بهم إلى تلك الغاية.

مسكويه: **تهذيب الأخلاق**، دار الكتب العلمية، 1981، ص. 61-62

VI .8. الخير الأسمَى غايةُ الدَّولة

أرسطو

إذا كان صحيحا أن هناك بعض الغايات التي نتوخاها في أفعالنا كغايات لذاتها، مقابل غايات أخرى لا نبحث عنها إلا من أجل الغايات الأولى، وإذا كان فعلا ليس محتم علينا التصرف، مهما كانت الظروف، عبر الانتقال من غاية خاصة إلى أخرى لأننا سنضيع في اللانهائي وستفرغ ميولاتنا من محتواها وستصبح بدون أي تأثير، فمن البديهي أن هذه الغاية الاخيرة هي الخير بل الخير الأسمى. أليس صحيحا أن تحتل معرفة هذا الخير، داخل الحياة الإنسانية، أهمية قصوى، بحيث بامتلاكها، مثل قواسين (رماة السهام) الذين يضعون نصب أعينهم الهدف المتوخى، يكون لدينا حظوظ وافرة لاكتشاف ما يتعين فعله؟. إذا كان الأمر كذلك، يجب أن نبذل مجهودا لكي نحدد بدقة، ولو بشكل مختزل، طبيعة هذا الخير وأن نقول إلى أي علوم ينتمي، وما هي وسائل العمل التي يستعملها. قد يبدو أنه رهين بالعلم الأسمى الذي يلعب دورا تنظيميا، إنه علم السياسة، إنه يحدد ما هي العلوم اللازمة بالنسبة للدول، حيث تحدد أيها بتعين على كل مواطن أن يتعلمه، وإلى أي حد. ألسنا نرى، في الواقع، أن العلوم الأكثر شرفا مثل العلوم العسكرية والاقتصادية والبلاغية، توجد تحت إمرة علم السياسة؟ وكما أن السياسة تستعمل العلوم الأخرى العملية، والتي تعمل على تقعيدها وفق ما يتعين فعله وما يتعين تركه، فالغاية التي تتوخاها يمكن أن تشمل غاية باقي العلوم الأخرى، إلى درجة أن ننعتها بأنها الخير الأسمى

Twitter: @ketab_n

بالنسبة للإنسان. وحتى إن كان خير الفرد يتطابق مع خير الدولة، يبدو من الأهم جدا، والأكثر ملاءمة للغايات الحقيقية، أن نرعى ونحافظ خير الدولة. بالتأكيد يكون الخير مرغوبا فيه، عندما يكون في مصلحة فرد بعينه؛ لكن طابعه سيكون أجمل وأكثر ربانية، عندما ينطبق على شعب أو على دول بكاملها.

Aristote, Ethique de Nicomaque, traduit par j.voilquin, edit, GF Flammarion, 1965 p.20

VI.9. المعنَى العاميّ و المعنى الحقيقي للسعَادة

لوكيوس سينيكا

نحن محشورون في لُجِّ العاصفة، ملقى بنا في أسفل الهاوية، نتيجة خطأ يتم تداوله من شخص لآخر. تكاد تقتلنا نماذج الغير؛ لكننا يمكن أن نشفى شريطة أن نتميز عن الجمهور الغفير من الناس. لكن الحقيقة، هي أن الجمهور يكابد من أجل الدفاع عن خطإه الخاص. لهذا يحدث ما نشاهده في المنتديات، حيث الناخبين، بل حتى الحاكمين، يندهشون عندما يرون أشخاصا تم انتخابهم، في الوقت الذي نجد فيه أن الفئات الشعبية المتقلبة غيرت الاتجاه ككل: حيث تتم الموافقة حتى على الأشياء التي كانت منبوذة؛ ذلك هو مصير كل حكم اعتمدنا فيه على أغلبية الأصوات.

نريد أن نتطرق لموضوع الحياة السعيدة، فلا يجب أن نتلقى جوابا شبيها بذاك الذي نحصل عليه بالتصويت، عندما نميل إلى الجهة الأكثر عددا: فنقول «هذا الحزب هو على ما يبدو الذي جمع أكبر عدد من الأصوات»، ولكن لهذا السبب بالذات فمثل هذا الجواب مدعاة للشك. فالقضايا الإنسانية ليست من هذه الطينة، مع الأسف، فأضل الاختيارات تروق أكبر عدد من الناس؛ إلا أن أسوء حجة هي حجة

Twitter: @ketab_n

الجمهور.

لنتساءل إذن، ما الذي يجب علينا فعله لأنه يتلاءم مع الحقيقة، وليس ما يجب علينا فعله لأنه أكثر تداولا؛ وهذا ما سيمكننا من امتلاك سعادة خالدة، وليست تلك التي تحظى بموافقة العامي، والذي نعتبره أسوء مؤول للحقيقة. أسمي العاميين، حتى أولئك الجنود الذين يضعون دثاراً قصيراً معقود القبة، والتيجان فوق رؤوسهم: إنني لا أهتم بلون الألبسة، والتي لا تعمل إلا على ستر الأجسام. إنني لا أثق في أعيني، عندما أنظر إلى الإنسان. إنني أتوفر على ضوء جيد، أصْلَح، لكي أميز بين الخطإ والصواب : فعلى عاتق الروح تقوم مهمة اكتشاف خير ما تزخر به الروح من خير.

Sénèque, La Vie Heureuse, arléa, 1995, p.18-19

VI.10. الحقيقةُ والسعَادة

لوكيوس أنّايوس سينيكا

إذا ما أصبحنا عبيد الشهوة، سنكون أيضا عبيد الألم؛ يا له من خضوع محزن وفظيع يعيشه، ذاك الذي تستولي عليه الرغبات والآلام، الأكثر مفاجأة واستبدادا: يجب أن نجد منفذا نحو الحرية. والحالة هذه، لا شيء يجعلنا نحصل عليها سوى إهمال نزوات الثروة. وما إن تتحقق الحرية، حتى تصبح هي مصدر كل هذه الأشياء التي لا تقدر بثمن: فطمأنينة الفكر تصبح هنا مضمونة وكذا السمو الأخلاقي، فما إن تتم مطاردة المخاوف، حتى تنبثق عن معرفة الحقيقي، فرحة عارمة وثابتة، وكذا سخاء و تألق الروح اللذان يسحرانها، ليس لأنهما خيرات، بل لأنهما ناتجين عن الخير الكامن في الروح.

يمكن أن نسمي رجلا سعيدا، ذاك الذي يكون متحررا عن الرغبات والمخاوف، بفضل خيار العقل: صحيح أن الأحجار والأنعام

Twitter: @ketab_n

لا تعرف هي الأخرى الخوف والحزن، لكن رغم ذلك لا يمكن الحديث عن السعادة عند من يجهل معناها. يمكن أن نضع في هذا المستوى نفسه، الناس الذين تجعلهم بلادتهم وجهلهم بأنفسهم ينزلون إلى مقام الأنعام والجماد. ليس هناك فرق بينهما، مادام العقل غائبا لدى الأنعام والجماد، و معطلا عند البلداء، و لا يعمل فقط سوى على تضليلهم وإلحاق الضرر بهم؛ ذلك أنه لا يمكن الإقرار بسعادة أحد إذا كان خارج الحقيقة.

فالحياة السعيدة تتأسس دوما بناء على حكم مستقيم وأكيد. لأن الروح خالصة ومتحررة من كل الآلام؛ إنها لا تتجنب فقط الاضطرابات، بل حتى الآلام النفسية، إنها عازمة على البقاء دائما هناك حيث تقيم، وحيث تدافع عن موقعها ضد الغضب وضد العقبات التي يفرضها القدر. أما بالنسبة للشهوة، فإنها يمكن أن تمتد لتطال كل مكان، تتسلل عبر كل الفتحات، تداعب الروح من حيث مغرياتها، فتستعمل الواحدة تلوى الأخرى كل أسلحتها من أجل إرشاء كليا أو جزئيا الكائن الإنساني: يا له من كائن فان، مهما كان الأمر فقد حافظ على ما تبقى من كرامته الإنسانية، فكيف ينزع نحو هذه الإثارة نهارا وليلا، ويترك روحه، لكي يعتني بجسده؟

Sénèque, La Vie Heureuse, arléa, 1995, p.25-26-27

VI.11. عندمَا يرسمُ الغيرُ معنَى سعادتِنا

بليز باسكال

إننا نشحن الأطفال، منذ الطفولة، بالاعتناء بسعادتهم، وبخيرهم، وبأصدقائهم. إننا نثقل كاهلهم بأشياء كثيرة، بتعلم اللغات ومجموعة من الممارسات، ونردد على مسامعهم أنهم لا يمكن أن يكونوا سعداء بدون صحتهم، شرفهم، وثروتهم، وبدون تحقق هذه الأشياء أيضا

Twitter: @ketab_n

لدى أصدقائهم، وأنه كلما افتقدوا لأحد هذه الأشياء سيكونوا أشقياء. هكذا نطوق كاهلهم بمهام وأشياء تربكهم منذ نبوغ فجرهم... ما الذي يتعين فعله؟ يجب فقط أن نرفع عنهم هذه الوصايا، هكذا سيتبصرون، وسيفكرون فيما هم عليه، من أين أتوا، وإلى أين هم ذاهبون؛ وهكذا سنكف قليلا عن شغلهم وتحويل مساراتهم. لكننا وبعد أن نهيئ لهم ما هو مطلوب منهم، وإذا ما تبقى لهم بعض من الوقت الفارغ، ننصحهم باستغلاله في التسلية واللعب، وأن نملأه عن آخره.

(...) إننا لا نكتفي بالحياة التي لدينا داخلنا وداخل وجودنا الخاص : إننا نريد أن نعيش داخل الفكرة التي لدى الآخرين، المتعلقة بحياة خيالية، لذا نبذل قصارى جهدنا من أجل هذا المظهر. إننا نعمل بدون توقف، من أجل التزيين والمحافظة على وجودنا الخيالي، ونهمل وجودنا الحقيقي. وإذا ما كنا ننعم بالسكينة، أو بالسخاء، أو الأمانة، فإننا نجاهد من أجل التعريف بذلك، حتى يتأتى لنا ربط هذه الفضائل بوجودنا الآخر، عاملين بذلك على نزعها منا، وإلحاقنا إياها بالآخر؛ سنكون عن طواعية جبناء، من أجل الحصول على سمعة كوننا شجعان.

إنها علامة كبرى على عدمية وجودنا الخاص، وعلى استحالة الرضا عن هذا الوجود دون الوجود الآخر، بل إننا نبذل هذا الوجود بذاك! لأن الذي لا يضحي بحياته من أجل الحفاظ على شرفه، سيكون سافلا. إننا معتدين بأنفسنا كثيرا، بحيث نريد أن نكون معروفين لدى جميع الناس، بل حتى لدى أولئك الذين سيأتون بعد رحيلنا.

Blaise Pascal, *Pensées*, editions lattäs, 1988, p.68-69-70

Twitter: @ketab_n

VI.12. السعادةُ مَسَار شَخصيٌّ

فريدريك نيتشه

إن من أدعوهم أيضا أشقياء في الحياة، هم لا خيار لهم إلا بين حالتين، فإذا لم يكونوا حيوانات مفترسة كانوا مذللين لها. وما أنا بالضارب خيامي في جوار هؤلاء الناس. أنا أدعو أشقياء أيضا من يكرهون على الانتصار أبدا، فما أحبذ حياة الجباة والتجار والملوك وكل من يقف حارسا لحانوت أو لقطر من الأقطار.

وأنا أيضا تعلمت الصبر والانتظار إلى زمان طويل، ولكن ما أنتظره إنما هو «أنا»، وما تمرنت عليه هو أن أقف وأمشي وأركض وأقفز وأتسلق وأرقص، لأن تعليمي هو هذا: من يريد أن يتعلم الطيران يوما فعليه أن يتدرب أولا على الوقوف، فالركض فالقفز فالتسلق فالرقص، وليس لأحد أن يطفر إلى الطيران طفرا.

ما تعلمت التسلق إلى النوافذ إلا بنصب الحبال، وما ارتقيت مرتفعات الصواري إلا بعد أن تقوت عضلات ساقي. إن أعظم اللذات هي اعتلاء صارية المعرفة، والاتقاد بلهب يتلوه لهب، فن في هذا الإشعاع المتردد هداية السفن الجانحة وأمل المشرفين على الهلاك.

لقد بلغت الحقيقة، حقيقتي بسلوكي طرقا عديدة واتخاذي وسائل جمة، فما ارتقيت المدارج من سلم واحدة لأبلغ القمة التي أتسنمها الآن وأرسل منها نظراتي إلى بعد. وإذا كنت سألت أحيانا عن الطريق، فما سألت إلا مكرها، لأنني فضلت في كل زمان أن أستنطق السبيل عن وجهته، فأختبره بنفسي. وهكذا كان تقدمي سؤالا وتلمسا، وما يتوصل الإنسان إلى استنطاق نفسه وسبله إن لم يتمرن على ذلك، ولكل ذوقه وهذا هو ذوقي لا أراه خير الأذواق، ولا أراه شرها، على أنني لا أخجل به ولا أخفيه.

Twitter: @ketab_n

هذا السبيل الذي أنتهج، فأين سبيلكم أنتم؟ بهذا الاستفهام كنت أجاوب من يسألونني: أين الطريق؟ لأن لكل طريقه، وليس هنالك جادة للجميع.

فريديريك نيتشه: هكذا تكلم زارادشت، ترجمة فيليكس فارس، منشورات المكتبة الأهلية- بيروت، ص 224-225.

VI.13. السعَادَةُ والعزلَة

نيتشه

أيتها العزلة لكم في صوتك من نبرات السعادة، في عطفه وحنانه! ليس بيني وبينك من شكوى ولا عتاب، فكلانا نمر صريحين من الأبواب المشرعة، لأن كل شيء لديك مضيء والساعات تمر فيك عجلى خفيفة، وما تتثاقل الساعات في النور تثاقلها في الظلام.

إنني أشعر بأن لكل شيء روحه ومعناه، فكل كائن يريد أن يعبر عن سريرته، وكل ما سيكون يطمح إلى تعلم البيان مني، أما هنالك فكل قول عبث وهراء وخير حكمة للناس هي النسيان والفناء، وهذا ما تعلمته منهم. وإذا ما أراد أحدهم أن يفهم كل شيء وجب عليه أن يستولي على كل شيء، وما تمتد إلى الأخذ يداي الطاهرتان. لقد تولاني الاشمئزاز من رائحة أنفاسهم، فوا أسفاه على زمن طويل قضيته حيث يضجون ويتنفسون!

يا للعزلة السعيدة أتمتع بها، ويا للعرف الزكي يتضوع حولي! إنني استنشق بملء رئتي هذا الهواء النقي في هذا السكوت المتنصت. أما هنالك فكل شيء يتكلم ولا سميع، فإذا ما أذاع أحد فضائله بقرع الأجراس، خنق الدوي في الساحات رنين الفلوس الكبيرة تقلبها أيدي البائعين. وهنالك يتكلم الكل وليس من أحد يفهم ما يقال. فكل شيء يقع في المياه الجارية ولا يتسرب شيء إلى أعماق منابعها. هنالك كل

Twitter: @ketab_n

شيء يبلغ نجاحا أو تكاملا. كل يصيح وليس من يرضى باحتضان البيوض في الأعشاش، كل يتكلم وكل كلام متراح مديد، وما كان يقسو من البيان على أفواه أبناء الأمس أصبح لينا تلوكه الأشداق في هذا الزمان.

هنالك كل يتكلم ولم يبق من مستور لم يهتك، فما كان يعد بالأمس سرا كمينا في أعماق النفوس، تتناوله اليوم مقارع الطبول وحناجر الصائحين، فيا للطبيعة البشرية، ما أنت إلاّ ضجة في المسالك المظلمة، لقد تجاوزتك فتركتك ورائي خطرا أنقذت منه. وقد كانت المداراة والرحمة أشد ما تعرضت له من أخطار، وكل كائن في البشر يطلب أن يعامل بالمداراة والرحمة. وما عشت بين الناس وأنا أحفظ حقائقي في قلبي ويداي وأحشائي ترتعش ارتعاش الجنون لأكاذيب الرحمة والإشفاق. هكذا عشت بين الناس، جلست بينهم متنكرا، أكاد أجحد ذاتي لأحتملهم مقنعا نفسي بقولي أنني مجنون لا أدرك حقيقتهم. إذا أنت عاشرت الناس فإنك لتنسى ما تعرفه عنهم، لأن ما ينطح بصرك من المشاهد الخارجية يصده عن سبر أبعادهم وأعماقهم.

فريديريك نيتشه: **هكذا تكلم زارادشت**، ترجمة فيليكس فارس، منشورات المكتبة الأهلية- بيروت، ص 213-214.

VI.14. السعادةُ رهِينَةٌ بما يتعلّق بنَا

إبكتيت

هناك أشياء تتعلق بنا، وهناك أشياء أخرى لا تتعلق بنا. أما الأشياء التي تتعلق بنا فهي الرأي، الميول، الرغبة، الاشمئزاز، وفي كلمة واحدة كل أعمالنا الخاصة بنا؛ بينما الأشياء التي لا تتعلق بنا هي الجسد، الثروة، شهادات التقدير، الأعباء الثقيلة، وفي كلمة واحدة كل الأشياء التي ليست وليدة أعمالنا الخاصة.

Twitter: @ketab_n

الأشياء التي تتعلق بنا هي طبيعيا حرة، بدون عائق، وبدون قيد؛ أما الأشياء التي لا تتعلق بنا، فهي هشة، مقننة، تتعرض بسهولة لعوائق، وخاصة بالغير. لتتذكر إذا ما يلي: إذا اعتبرت الأشياء المقننة طبيعيا، كأشياء حرة، واعتبرت الأشياء الخاصة بالغير، وكأنها أشيائك الخاصة، ستواجه العوائق والأسى، والاضطراب، ستتهم الآلهة والناس؛ ولكن إذا أخذت ما لك فقط، وتركت ما هو حقا لغيرك، لن يعترض عليك أحد أبدا ولن يقف في طريقك، ولن توجه لأي احد اتهام أو لوم، ولن تفعل إطلاقا أي شيء ضد إرادتك، لن يأذيك أحد؛ لن يكون لك أعداء؛ لأنك لن تعاني من أي ضرر.

أنت الذي تسعى نحو الخيرات الكبرى، تذكر أنه يتعين عليك لكي تحققها، أن تبذل قصارى جهدك بدون حساب، وأن تتخلى كليا عن بعض الأشياء، وأن تؤجل مؤقتة بعض الأشياء الأخرى. فإذا كنت تريد أن تضيف إلى هذه الخيرات، السلطة والثورة، فإنك قد تتعرض لفقدان الخيرات الأولى مادمت قد اتبعت الثانية، وعلى أية حال فإنك لا محالة ستفقد الخيرات التي تزودك بالحرية والسعادة.

هكذا الأمر بالنسبة لكل فكرة شاقة، فلتحرص مليا على القول : «أنت مجرد فكرة، ولست ما تجسدينه بالضبط. «ثم، افحصها، تحقق منها حسب القواعد التي تمتلك، وعلى الخصوص حسب القاعدة الأولى، المتعلقة بمعرفة ما إذا كانت هذه الفكرة، رهينة بالأشياء المتعلقة بنا، أو بالأشياء غير المتعلقة بنا؟ وإذا ما كانت متعلقة بالأشياء التي لا تتعلق بنا، ليكون جوابك جاهزا بهذا الصدد ولتقل: «هذا شيء لا يعنيني.»

Epictéte: in Denis Huisman, Marie-Agnäs Mafray, *les pages les plus célèbres de la philosophie occidentale*,Perrin, 2000, p.80-81

Twitter: @ketab_n

VI.15. وصايَا السعَادة

مارك أوريل

يجب أن تعيش، بشكل يتلاءم مع طبيعتك، ما تبقى من عمرك، كما لو أنك سلفا ميت، كما لو أن حياتك لن تتجاوز هذه اللحظة.

أحبب فقط ما يحدث لك، وما حدده لك مصيرك. هل ثمة شيء أكثر ملاءمة من ذلك؟

انظر في أعماق ذاتك؛ فداخلك هو مصدر الخير، إنه مصدر لا ينضب معينه، يكفي أن تعكف على التنقيب فيه إلى الأبد.

إن فن العيش شبيه بفن المصارعين، أكثر مما هو شبيه بفن الرقص، لأنه يتعين أن نبقى أهبة الاستعداد، ونبقى مسلحين، ضد كل الضربات التي سنتعرض له، غير المنتظرة.

إن كمال الأخلاق، يكمن في أن نتعامل مع كل يوم، وكأنه اليوم الأخير في حياتنا، بدون أي اضطراب، وبدون أي تراخ، وبدون أية مواربة.

إن الناس موجودون من أجل بعضهم البعض، فأصلحهم أوتحملهم.

لتتوغل في روح كل واحد من الناس، ولكن اسمح للآخرين كي يتوغلوا داخل روحك.

Marc-Aurèle: in Denis Huisman, Marie-Agnès Mafray, *les pages les plus célèbres de la philosophie occidentale*, Perrin, 2000, p.87

Twitter: @ketab_n

16.VI. السعادةُ هي سدُّ الفَراغ

رولان بارط

«لتأخذ كل شهوات الدنيا، ولتجعل منها كلها شهوة واحدة، ولتضعها في رجل واحد، فإن هذا لا يساوي شيئا بالنسبة للمتعة التي أتحدث عنها». إن سد الفراغ هو عبارة عن تطوح: فثمة شيء يتكاثف بداخلي، يضغط علي، يسحقني. ما الذي يجعلني ممتلئا؟ هل هي الكلية؟ لا، بل هي شيء ينطلق من الكلية ويعمل على تجاوزها: إنها كلية لا شيء بعدها، إنها كلية لا يستثني مجمعها أي شيء، إنه مكان لا شيء بجانبه («حيث روحي ليست فقط ممتلئة، بل زاخرة»). إنني أسد الفراغ (لا فراغ لدي)، أراكم، لا أعاني من أي حرمان: إنني أنتج أكثر، وفي هذا الأكثر يتحقق سد الفراغ (الأكثر هو النظام المتحكم في المخيال: ما إن أفشل في تحقيق هذا الأكثر، حتى أشعر بالحرمان؛ الاكتفاء بتحقيق ما ينبغي، يعني بالنسبة لي عدم الكفاية): إنني أعرف هذه الحالة حيث «تتجاوز فيها المتعة الممكنات التي كانت تتوقعها الرغبة». يا لها من معجزة: سأترك ورائي كل «إشباع»، لا شبع ولا ثمالة، سأتجاوز حدود الامتلاء، وعوض أن أشعر بالقرف، بالغثيان، أو الثمالة، أكتشف...التوافق. لقد قادني الإفراط إلى تحديد القياس؛ ألتصق بالصورة، فقياساتنا هي نفسها: الانضباط، الدقة، الموسيقى: لقد حسمت مع عدم الكفاية. إنني أعيش إذن عيد الصعود النهائي للمخيال، و أعيش انتصاره.

سد الفراغات: هذا ما لا نقوله، بحيث نجد باطلا إختزال العلاقة العاطفية في هذا التشكي الدائم. لأن إذا كان من غير المنطقي أن نتحدث بشكل سيء عن الشقاء، ففي المقابل فإننا نسيء التعبير عن السعادة: فالأنا لا تنتج خطابا عن السعادة إلا إذا كانت مجروحة؛ فعندما أشعر بأنني بدون فراغات، أو أتذكر أنني كنت كذلك، فإن اللغة تبدو لي

Twitter: @ketab_n

وكأنها رعديدة: إنني محمول خارج اللغة، يعني خارج الرداءة، خارج العمومي: «قد يحدث لقاء قويا بسبب فرح ما، وأحيانا يختزل الإنسان في لا شيء؛ هذا ما أسميه التنقل. التنقل هو الفرح الذي لا يمكننا التحدث عنها.»

في الواقع، مهما كانت حظوظي في سد فعلا فراغاتي (أريد فعلا أن تكون فراغتي معدومة). فوحدها تلمع، بشكل أبدي، إرادة سد الفراغ. فبواسطة هذه الإرادة، أنحرف: أكون بداخلي يوطوبيا ذات منتشلة من الكبت: فأنا سلفا تلك الذات. إن هذه الذات إباحية: أن نعتقد بوجود الخير الأسمى، هو أكثر جنونا من الاعتقاد بوجود الشر الأسمى...

(يعني سد الفراغ، إلغاء الموروثات: «... فالفرح ليس في حاجة قط للورثة أو للأطفال. الفرح يرد لذاته، إنه يرد الخلود، حيث تكرار نفس الأشياء، إنه يريد أن يصبح كل شيء متماثل بشكل خالد». إن المحب الذي يشعر بسد الفراغ، ليس في حاجة إلى الكتابة، ولا إلى التبليغ، ولا إلى إعادة الإنتاج.

Roland Barthes: critica (*fragment d'un discours amoureux*), Cérès editions, 1996, p.67-68-69

VI.17. سَعَادَتُنا ليستْ رَهِينةً بِرأيِ الغَيْر

أرثور شوبنهاور

كأطروحة عامة، يمكن القول إن طبيعتنا الحيوانية هي أساس وجودنا، وبالتالي هي أساس سعادتنا. الأساسي بالنسبة للهناء، هو إذن الصحة، ثم الوسائل الضرورية لحياتنا، وبالتالي أن يكون وجودنا متحررا من الهواجس، من الشرف، من الجاه، من العظمة، من المجد؛ إذ مهما كانت القيمة التي نضفي عليها، فلا يمكنها أن تنافس هذه الخيرات

Twitter: @ketab_n

الأساسية ولا أن تعوضها، عكس ذلك، وبالمقابل، لن نتردد ولو للحظة في تعويض هذه الأشياء بالسعي نحو الخيرات الأساسية. سيكون إذن من المفيد جدا لسعادتنا، أن نعرف في الوقت المناسب، هذه الواقعة البسيطة جدا، والمتمثلة في كون كل واحد يعيش أولا وفعلا، وفق ما تمليه عليه نفسه، وليس وفق رأي الآخرين. هكذا وبطبيعة الحال، فإن شرطنا الواقعي والشخصي، كما هو محدد بواسطة الصحة، المزاج، والملكات العقلية، والدخل، والمرأة والأطفال، والإقامة، الخ، هي أشياء مهمة مائة مرة، بالنسبة لسعادتنا، وليس بالنسبة لما يروق للآخرين أن يفعلوا بنا. وكل وهم يدعي عكس ذلك، يجعل الإنسان شقيا، ويصرخ بأعلى صوت: «الشرف قبل الحياة»، يعني أن نقول في الواقع: «إن الحياة والصحة لا تساويان شيئا، إن ما يهم هو صورة الآخرين عنا. «إضافة إلى ذلك، فهذه الحكمة يمكن أن تعتبر حكمة مبالغ فيها، إذ داخلها توجد هذه الحقيقة المبتذلة، والتي ترى أنه لكي نتقدم ونحافظ على وجودنا مع الناس، فإن الشرف، يعني صورة الناس تجاهنا، هو في الغالب شيء ذو فائدة لا مناص منها. وعندما نرى، أن كل ما يتبعه الناس تقريبا، خلال حياتهم كاملة، وبذلهم الحثيث لقصارى جهدهم، ومواجهتم لآلاف المخاطر وآلاف الصعوبات، هدفه الأخير هو تربيتهم على الخوف من رأي الآخرين، ولا يتعلق الأمر هنا فقط بالوظائف والألقاب والأوسمة، بل حتى بالثروة والعلم وبالفنون كذلك، والتي في العمق يسعى الإنسان نحوها أساسا من أجل هذه الغاية الوحيدة، لذا فعندما نعاين النتيجة النهائية، التي نشتغل من أجل الوصول إليها، والكامنة في الحصول على أكبر قدر من احترام الآخرين لنا، فإن كل ذلك لا يدل مع الأسف، سوى على ضخامة الجنون الإنساني.

أن نولي عناية كبيرة للرأي، هو بمثابة خرافة كونية سائدة، سواء كانت جذورها مستمدة من طبيعتنا ذاتها، أو أنها ناتجة عن ولادة

Twitter: @ketab_n

المجتمعات والحضارة. من المؤكد، على كل حال، أن هذه الخرافة تؤثر على سلوكنا، تأثيرا لا حدود له، بشكل معاد لسعادتنا.

Schopenhauer, *Aphorismes sur la sagesse dans la vie*, trad Roos, puf, 1964, p.41

VI.18. ذِكرَى السعَادة

جان جاك روسو

ها هنا تبدأ السعادة القصيرة التي شهدتها حياتي؛ هنا تطفو تلك اللحظات الهادءة والسريعة التي أعطتني حق قولي إنني عشت. يا لها من لحظات ثمينة ومأسوف عليها ! لتعد على مسامعي درسك المحبوب لدي؛ ولتنساب ببطء داخل ذاكرتي، إذا أمكن ذلك، واحرص على أن لا تتوارى داخل هذا الإرث الهارب. ما العمل، لكي أستمر في ترديد هذا الحكي المؤثر جدا والبسيط جدا، فأعيد قول نفس الأشياء، دون أن يضجر قط قرائي، من تكراري على مسامعهم، أنني لن أمل أيضا من ترديد هذه الأشياء بدون توقف. لو كان من الممكن أن يتجلى كل ذلك في وقائع، أفعال، أقوال، لأمكنني وصفه وجعله يتخذ منحى ما: لكن ما السبيل إلى قول ما لا يمكن قوله، ولا فعله، ولا حتى التفكير فيه، بل يتعين تذوقه، والإحساس به، دون أن أتمكن من التلفظ بأي شيء آخر من سعادتي، ماعدا هذا الإحساس ذاته؟ أكون سعيدا عندما أستيقظ مع طلوع الشمس، أكون سعيدا عندما أتجول،أكون سعيدا عندما أرى أمي، أكون سعيدا عندما أغادرها، كنت أسير في الغابات والتلال ، أتوه في الأودية الصغيرة، أقرأ، لقد كنت متفرغا، أعمل في الحديقة، أجني الثمار، أساعد في القيام بأشغال البيت، لقد كانت السعادة تتبعني أينما حللت وارتحلت. لم يكن هناك شيء يتعين استحضاره، لأن كل شيء كان داخل ذاتي، ولا يمكن أن يغادرني ولو للحظة.

لا شيء يا حبيبتي، مما وقع لي، طوال هذه الفترة من حياتي،

Twitter: @ketab_n

ولا شيء مما فعلته وفكرت فيه، طوال الوقت الذي استغرقه، ينفلت من ذاكرتي. إن الأزمنة التي مرت، والتي تبعتها، تأتي تباعا من وقت لآخر؛إنني أتذكرها بشكل غير متساو وبشكل ضبابي. لكنني أتذكر كل ذلك كما لو أنه لازال مستمرا في الزمن. صحيح إن خيالي، الذي كان في شبابي يسير دائما إلى الأمام، تراجع الآن، لكن بفضل هذه الذكريات الناعمة يتقوى الأمل لدي، حيث أحرص على أن لا أفقده أبدا. فلا شيء يغريني في المستقبل، ووحده هذا الرجوع إلى الماضي، هو الذي يمكن أن يعجبني. إنه رجوع حي جدا، وحقيقي جدا، متعلق بالحقبة التي أتحدث عنها، الشيء الذي يجعلني في الغالب أعيش سعيدا رغم ما لدي من مآسي.

Jean Jacques Rousseau, *Confessions*, 1781, Livre 6 (Léon louis Grateloup, Anthologie Philosophique, hachette, 1992, p.49)

VI.19. السَّعادةُ الحقَّة

روني ديكارت

يبدو لي أن كل واحد يمكن أن يكون سعيدا بذاته، دون أن ينتظر أي شيء خارجه، يكفي فقط أن يلاحظ ثلاثة أشياء، التي تشكل مرجع القواعد الثلاث للأخلاق، والتي ذكرتها في كتابي «خطاب في المنهج»:

أولا، ليعمل دائما على أن يستخدم تفكيره، أحسن ما يمكنه ذلك، من أجل أن يعرف ما يمكنه فعله في كل صروف الحياة.

ثانيا، ليكن ذا قرار صارم وحثيث، في تنفيذ كل ما ينصحه به العقل، دون أن تعمل أهواؤه وشهواته على تحويل تجاهه؛ وهذه الصرامة في اتخاذ القرار، هي التي أعتقد أنه يجب يتحلى بها بالنسبة للفضيلة، على الرغم أنه، وحسب علمي، لا أحد أبدا استطاع أن يفسر ذلك؛ لكن تم تقسيمها إلى عدة أنواع، أعطيت لها أسماء مختلفة، بسبب اختلاف

Twitter: @ketab_n

الأشياء التي تشملها.

ثالثا، عليه أن يعتبر أنه عندما يقود نفسه حسب ما يمليه العقل، ما أمكنه ذلك، فإن كل الخيرات التي لا يمتلكها، هيكليا خارج سلطته، وبهذه الوسيلة، سيتعود على أن لا يرغب فيها قط؛ لأن الرغبة وحدها، والندم أو الحسرة، هي الأشياء التي تعوق سعادتنا: لكن إذا كنا نفعل دائما ما يمليه علينا عقلنا، فلن يكن لدينا أي شيء نتحسر عليه، فحتى عندما تكشف لنا الأحداث عن انخداعنا، فإن ذلك لا يكون مرده خطأنا. وهذا ما يجعلنا لا نرغب قط في الحصول، مثلا، على أذرع أخرى أوألسن أخرى، غير تلك التي لدينا، لكننا نرغب في مزيد من الصحة أو مزيد من الثروات، لأننا فقط نتصور أن هذه الأشياء يمكن أن تكتسب بواسطة سلوكنا، أو أنها نتاج لطبيعتنا، وأن الأمر ليس كذلك بالنسبة للأشياء الأخرى: فما هو الرأي الذي علينا أن نتنازل عنه، إذا ما اعتبرنا، بحكم أننا اتبعنا دائما نصيحة عقلنا، أننا لم نأل جهدا تجاه كل الأسياء التي تحت سلطتنا، وأن الأمراض والمصائب ليست أبدا أقل طبيعية بالنسبة للإنسان، من الرخاء والصحة.

Rene Descartes, *Lettre a Elisabeth*, ed allimard, 1966, p. 1193-1194

VI.20. الآن كَبرتُ

جاك بريفير

طفلاً
عشتُ بكل غرابَة
الضحك المتواصل كل الأيام
الضحك المتواصل حقا
ثم عشت حزنا حزينا جدا
وأحينا عشت كليهما معا في الوقت نفسه

Twitter: @ketab_n

هكذا كنت أعتقد أنني بائس
بل فقط لم يكن لدي أمل
لم يكن لدي شيء آخر سوى أن أكون حيا
كنت بكرا، كنت مسرورا، و كنت حزينا
لكن لن أتظاهر أبدا بالحياة
أعرف ما الذي يجب فعله للبقاء حيا
علي أن أهز الرأس، لكي أقول لا
أهز الرأس، لكي لا أترك أفكار الناس تخترق رأسي
أهز الرأس لكي أقول لا، وأبتسم لكي أقول نعم
نعم للأشياء وللكائنات، نعم للكائنات وللأشياء
التي نراها وندعبها، ونحبها، نأخذها أو نتركها
كنت كما كنت، بدون عقلية
وعندما أكون في حاجة للأفكار، كي ترافقني
أنادي عليها، فتأتيني
ثم أقول نعم لتلك التي تروقني
و أطرح الأفكار الأخرى جانبا
الآن كبرت، كذلك الأفكار كبرت
لكنها لازالت دائما أفكارا كبرى
أفكارا جميلة، أفكارا مثالية
و لا زلت أستهزء بها مواجهة
لكنها تنتظرني، لكي تنتقم مني
ولكي تأكلني، في اليوم الذي أكون فيه متعبا
لكنني، وأنا في مكان منعزل لازلت أنتظرها
سأقطع عنقها، و أجعلها تفقد كل شهية.

Jacques Prévert, *La pluie et le beau temps*, folio, gallimard,1955, p.60-61

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

أقوال فلسفية

1. سيجموند فرويد: «إن ما نسميه سعادة، بالمعنى الدقيق للكلمة، ناتج عن إشباع فجائي للحاجات التي بلغت حدا عاليا من التوتر». (قلق في الحضارة (1929))

2. جون ستيوارت ميل: «إن الشخص الذي لديه تطلعات راقية، سيشعر دائما أن السعادة التي ينشدها، كيف ما كانت، هي سعادة غير تامة». (النفعية (1968))

3. أرسطو: «إن خطافاً واحدا لا يدل على حلول فصل الربيع، كما أن يوما واحدا مشمسا لا يدل عليه؛ وبالمثل فليس يوم واحد ولا لحظة قصيرة، كافيين للحديث عن الهناء والسعادة. الأخلاق إلى نيقوماخوس (1965)

4. جان بول سارتر: «ليس للحياة معنى مسبق. فقبل أن تعيش، لا تعني الحياة شيئا، فأنت الذي تعطيها معنى، والقيمة ليس شيئا آخر سوى هذا المعنى الذي تختاره». (الوجودية نزعة إنسانية (1945))

5. باروخ سبينوزا: «إن الحكيم لا يعرف قط الاضطراب الداخلي، لكنه يمتلك، بنوع من الضرورة الخالدة، وعيا بذاته بالله وبالأشياء، الشيء الذي يجعله لا يكف أبدا عن أن يكون ويمتلك ذاك الرضى

Twitter: @ketab_n

الحق»(الأخلاق(1993)).

6. فريدريك نيتشه: «لا سعادة، لا سكينة، لا أمل، لا افتخار، لا متعة يمكن أن تطال اللحظة الحاضرة، بدون ملكة النسيان». (جينيالوجيا الأخلاق (1900))

7. لويس لاڤيل: «يمكن القول عن اللذة إنها رهينة باللحظة، أما السعادة فإنها رهينة بالزمن أو بالديمومة». (رسالة في القيم (1951))

8. روني ديكارت: «إن راحة الفكر والإشباع الداخلي، اللذين يشعران بهما أولئك الذين يعرفون أنهم لن يكفوا عن فعل أفضل ما يمكنهم فعله، هما عبارة عن تحقيق رغبة لطيفة لا مثيل لها، رغبة أكثر دواما وأكثر ثباتا، من كل الرغبات التي تأتينا من الخارج». (مراسلات إليزابيت ورسائل أخرى لديكارت، (1988))

9. ليبنتز: «صحيح يتعين علينا أن نعتبر القلق شيئاً لا يتلاءم مع الهناء، لكن رغم ذلك فالقلق أساسي بالنسبة لهناء الناس، الذي لا يكمن أبدا في امتلاك تام يجعل هؤلاء الناس فاقدين للإحساس وبلهاء، بل يكمن في هذا التقدم المستمر، الذي ترافقه باستمرار هذه الرغبة، أو على الأقل هذا القلق المستمر».

10. هربرت ماركوز: «لكي تنتصر حضارة ما، لابد من وجود نوع من الردع ومن غياب السعادة».

11. ألان «يحرم البخيل نفسه من العديد من الملذات، لكنه يخلق لنفسه سعادة حية، أولا لأنه ينتصر على الملذات، وثانيا لأنه يراكم القوة، لكنه يريد أن يكون سعيدا اعتمادا على نفسه، فإذا كان البخيل قد أصبح غنيا، بسبب ما ورثه فإنه سيكون بخيلا حزينا، لأن كل سعادة هي أساساً عبارة عن شعر، ونعني بالشعر الفعل، إننا لا نحب السعادة التي تسقط علينا من السماء، بل نريد أن نصنعها. فقد يستهزئ الطفل من حدائقنا، لكنه بالمقابل يصنع حديقة جميلة بواسطة الرمال، و القش».

Twitter: @ketab_n

12. أندري جيد «إن سعادة انسان لا تكمن في الحرية، بل في قبول الواجب».

13. لويس لافيل «إن السعادة ليست لحظية مثل اللذة، ولا ترتهن بحدث ما، إنها مرتبطة بالديمومة، إنها لا تلغي الوعي بالجسد: بل إن الجسد لا يبقى حاضرا إلا من خلال الإحساس الذي لدينا عن مدى صحته، توازنه، وحيويته غير المقيدة، و التي تستجيب لها الظروف».

14. جورج غوسدورف «السعادة هي المستقبل، وأحيانا تحيل على الماضي، لكن نادرا جدا ما تكون السعادة مرتبطة بالحاضر».

Twitter: @ketab_n

الفهرس

تمهيد 5

I. تحديد المفهوم 9

I .1. السعادة هي الحظ (بول فولكيي) 9
I .2. السعادة هي الإشباع (بول فولكيي) 10
I .3. السعادة والفرح (لالاند) 11
I .4. الغبطة والخير الأسمى(لالاند) 12

II. البحث عن السعادة 15

II.1. الهروب من الخطر(جون ديوي) 15
II.2. الحياة السعيدة (أرسطو) 16
II.3. قيمة السعادة (هنري بوانكاري) 17
II.4. الخير والسعادة (مسكويه) 18
II.5. تمثلات السعادة (مسكويه) 20
II.6. السعادة وأنواع الخيرات (ارسطو) 21
II.7. لا سعادة بدون إرادة حسنة (كانط) 22
II.8. اللذة والفضيلة (سينيكا) 23
II.9. علاقة الحياة بالزمن (سينيكا) 24
II.10. الفرق بين البحث عن السعادة وبين الحصول عليها (آلان) 26
II.11. السعادة ليست داخلنا ولا خارجنا (باسكال) 27
II.12. مبدأ السعادة الكبرى(ستيوارت ميل) 28

Twitter: @ketab_n

II.13. التشوق إلى السعادة (نيتشه) 29
II.14. مجانين السعادة(نيتشه) 31
II.15. سعادة الطفولة (باشلار) 32
II.16. الحب طريق السعادة (أفلاطون) 34
II.17. السعادة وهاجس التقدم (فرويد) 35
II.18. كآبة السعادة (جانكيليفيتش) 37
II.19. واجب السعادة (كانط) 38
II.20. أين هي السعادة؟(فولتير) 40

III. السعادة بين الممكن والمستحيل 43

III.1. العلم والسعادة (هنري بوانكاري) 43
III.2. صعوبة تحقيق السعادة (كانط) 44
III.3. معرفة السعادة (ابن رشد) 45
III.4. أصل السعادة (أرسطو) 46
III.5. بلوغ السعادة (الفرابي) 47
III.6. السعادة واللذة (أرسطو) 48
III.7. سعادة المشاهدة (ابن طفيل) 49
III.8. السعادة بين الغريزة والعقل (كانط) 50
III.9. الإنسان كائن مركب (ابن مسكويه) 52
III.10. وهم السعادة (سينيك) 53
III.11. معيقات السعادة (سينيك) 54
III.12. السعادة والشجاعة (آلان) 56
III.13. السعادة وعائق الشرط الإنساني (باسكال) 57
III.14. السعادة وهاجس الرغبة (شوبنهاور) 59

Twitter: @ketab_n

III.15. ليس الإنسان منذورا للسعادة (فرويد) 60
III.16. الشهوة رمز السعادة (نيتشه) 62
III.17. سعادة التأملات الشاردة (باشلار) 63
III.18. المنظور الرأسمالي للسعادة: المتعة والتراكم (ماركس) 64
III.19. السعادة نموذج أمثل خيالي (كانط) 66
III.20. ماذا لا نسكن في الرغبة دون أن تحترق؟ (مونييه) 67

VI. السعادة بين الفرد والمدينة 71

VI.1. العلم والسعادة (الفارابي) 71
VI.2. سعادة الإنسان ككائن مدني (أرسطو) 72
VI.3. مراتب الفضائل (مسكويه) 74
VI.4. الفاضل السعيد (مسكويه) 75
VI.5. السعادة و واجب الفرد (كانط) 76
VI.6. أصناف السعداء (مسكويه) 77
VI.7. الواجب على الحاكم (مسكويه) 78
VI.8. الخير الأسمى غاية الدولة (أرسطو) 79
VI.9. المعنى العامي و المعنى الحقيقي للسعادة (سينيكا) 80
VI.10. الحقيقة والسعادة (سينيكا) 81
VI.11. عندما يرسم الغير معنى سعادتنا (باسكال) 82
VI.12. السعادة مسار شخصي (نيتشه) 84
VI.13. السعادة والعزلة (نيتشه) 85
VI.14. السعادة رهينة بما يتعلق بنا (إبكتيت) 86
VI.15. وصايا السعادة (أوريل) 88
VI.16. السعادة هي سد الفراغ (ربارط) 89

Twitter: @ketab_n

VI.17. سعادتنا ليست رهينة برأي الغير (شوبنهاور) 90
VI.18. ذكرى السعادة (جان جاك روسو) 92
VI.19. السعادة الحقة (ديكارت) 93
VI.20. الآن كبرت (جاك بريفير) 94

أقوال فلسفية 97

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

خلاصة القول، إن سعادة الفرد لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن الجماعة وبمعزل عن الأخلاق العامة. لذا يقول أرسطو إن الذي لا يستطيع أن ينتمي لجماعة ما، أو ليس في حاجة إلى ذلك لأنه مكتف بذاته، هو لا يشكل جزء من هذه المدينة، لأن الكائن الإنساني كائن اجتماعي بطبعه، فإنه يحتاج للمدينة، ولأنه كائن يسعى باستمرار إلى نفي حيوانيته، فإنه يحتاج إلى الأخلاق. إننا نعيش مع بعضنا لكي نكون سعداء، والسعادة هي غاية كل سياسة و أخلاق، فالسعادة كخير أسمى لا تختزل في الكمال الفردي، بل رهينة بالكمال الجماعي، حيث يتطابق الخير الخاص مع الخير العام، وهذا هو أفق «المدينة الفاضلة» التي طالما حلم بها الفلاسفة...

الثمن 34 درهما

9 789954 511480